

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



الرقم التسلسلي:

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

رقم التسجيل: ط1: 97459029

كلية الآداب واللغات

رقم التسجيل: ط 2: 95506509

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص : أدب جزائري

بغنوان :

البعد السياسي في رواية الجازية وال دراويش لعبد الحميد بن هدوقة

إعداد الطالبين :

*صحراوي عبدالرحمان

* قرين ساعد

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

<u>الصفة</u>	<u>الجامعة</u>	<u>الرتبة</u>	<u>اسم ولقب الأستاذ:</u>
رئيسا	جامعة المسيلة	أ محاضر ب	لخضر هني
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أ مساعد أ	مختار لبزة
مناقشا	جامعة المسيلة	أ محاضر ب	عبد الحفيظ جوبر

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهداء



إلى من كانت جنات الرحمان تحت قدميها ، إلى التي كانت سببا لوجودي إلى التي علمتني العزيمة و أعطتني الإرادة و أنارت دربي و سقتني من ينبوع حنانها إلى رمز الحب و العطف و الأمل إلى أمي رحمها الله و اسكنها فسيح جناته . إلى الذي علمني كيف أخوض معركة الحياة إلى سندي و عضدي إلى الذي عانى من اجل سعادتني و راحتني إلى أبي -حفظه الله - إلى من كانوا سندي في مسيرتي و كان لهم الفضل الكبير في مواصلة مشواري الدراسي إلى زوجتي الغالية صبرينة الى نور عيني و فلذات كبدي انفال و عبد الجبار الى اخوتي و اخواتي القايمة و زوجها ، إلى رزيقة و زوجها ، إلى بلال و زوجته الى عيدة و زوجها إلى امي الثانية صباح ، إلى المعترز بالله ، و كوثر إلى بشرى ، محمد ، سهيلة ، مرام ، هناء ، شيماء ن، عبد النور ، عبد الغفور ، هدى ، يحيى ، إلى خالي و خالاتي إلى أعمامي و عماتي إلى كل الأهل و الأقارب .

إلى كل من جمعتني بهم ذكريات جميلة ، إلى أصدقائي و زملائي بالعمل الى كل هؤلاء اهدي هذا العمل .

عيد الرحمان

اهداء



إلى روح والدي رحمه الله وإلى أمي التي
تنور لي دربي بدعواتها وإلى الأسرة الكريمة
وإلى جميع قرين الذي حفزني على دراسة الأدب
الجزائري

وشكرا

ساعد

تشكرات

" ربي أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت
علي و علي والدي و أن اعمل صالحا ترضاه و
أدخلني في عبادك الصالحين "

في هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر
الجزيل إلى الأستاذ المشرف * ليزة مختار *
الذي أسهم في انجاز هذا البحث بالنصح و الإرشاد و
لم يبخل علينا بأي معلومة كما نتقدم بالشكر إلى إدارة
وأساتذة قسم اللغة والأدب العربي خاصة أعضاء لجنة
المناقشة.

كما نشكر كل من قدم لنا يد العون من قريب أو
بعيد من

* عبد الرحمان صحراوي * ساعد قرين *

مقائمة

مقدّمة

لقد ظلت الرواية الجزائرية منذ بدايتها الصعبة و العسيرة تسعى في إصرار إلى أن تكون مرآة المجتمع ، و سلاحه الإبداعي في مواجهة كل ظروف الحياة سواء من الناحية الاجتماعية ، السياسية أو الثقافية

و رغم تلك الظروف التي واكبت ظهور الرواية في الجزائر - خاصة منها الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية - و مرارة الواقع الاجتماعي الصعب المكبل بقيد المستعمر البغيض ، حيث لم تحد الرواية يومها على غرار باقي الأجناس الأدبية عن قيامها بمحاولة إنارة الوعي الاجتماعي الثقافي و السياسي ، غير أنها سرعان ما استعادت وظيفتها الفكرية و الفنية مباشرة بعد الاستقلال عندما حاولت مرة أخرى تأصيل الوعي و إشاعته بين أبناء جيل الاستقلال منادية و داعية إلى مواكبة الركب الحضاري العام ، فجاءت جل الروايات و الكتابات الروائية آنذاك تدعو إلى التغيير و مناهضة كل أوجه التأخر و أسباب التخلف و من بين هذه الروايات التي ظهرت في مرحلة ما بعد الاستقلال نجد رواية "الجازية و الدراويش" للكاتب عبد الحميد بن هدوقة و التي سنحاول أن نتطرق إليها من خلال دراسة الدلالات والأبعاد السياسية في هذه الرواية ، محاولين الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي تتبادر الى الأذهان :

- ماهي أهم الأبعاد السياسية في رواية الجازية والدراويش ؟

- ماذا تمثل شخصية الجازية في هذه الرواية ؟

- كيف كانت نظرة باقي الشخصيات للجازية ؟

لقد حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات وأخرى داخل هذا العمل مركزين على الأبعاد السياسية والاجتماعية لشخصيات الرواية وعلى رأسهم شخصية الجازية .

وكان اختيارنا لهذا الموضوع بسبب أن جل الدراسات التي تطرقت لرواية الجازية والدرأوش لم تتطرق إلى الأبعاد السياسية داخلها والتي أراد الكاتب عبد الحميد بن هدوقة الإيحاء إليها داخل رأوته هذه .

و قد اتبعنا من أجل هذه الدراسة خطة بحث ، حيث قسمنا بحثنا إلى فصلين:

- الأول نظري يتناول واقع الرواية الجزائرية عموما، سواء المكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية قبل الاستقلال وبعده ، حيث قسمناه إلى ثلاثة عناصر : يتحدث العنصر الأول عن واقع الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و المؤثرات الاجتماعية و السياسية على هذه الرواية، وفي الثاني انتقلنا إلى الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية ، فدرسنا واقع هذه الرواية قبل الاستقلال ثم تحدثنا عن مرحلة السبعينيات و ما عرفته هذه الفترة من زخم في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية ، ومن ثم تناولنا الرواية الجزائرية في الثمانينات واهم الروايات التي ظهرت في هذه المرحلة ، ثم تطرقنا إلى الرواية الجزائرية في مرحلة التسعينيات من القرن الماضي وكيف واكبت مرحلة الجمر التي عرفتها البلاد في ذلك الوقت ، أما في الثالث فأشرنا الى مفهوم الرواية السياسية ، ثم تطرقنا إلى الرواية السياسية في الغرب ، فالرواية السياسية عند العرب ، ثم رصدنا أهم الدراسات التي تناولت الرواية السياسية سواء عند الغرب أو الشرق ، ومن ثم تطرقنا إلى الرواية السياسية في الجزائر وأهم الروايات الجزائرية التي ظهرت في هذا النوع الروائي.

أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي يتعلق بدراسة الدلالات والأبعاد السياسية في رواية " الجازية والدرأوش" وتطرقنا فيه للدلالات السياسية لأهم شخصيات الرواية كالجازية والطيب والطالب الأحمر والشامبيط... ثم درسنا الدلالات السياسية للإطار الزمني و المكاني في هذه الرواية ، وبعد ذلك تطرقنا إلى الأبعاد الأخرى لهذه الرواية (الأبعاد غير السياسية) كالأبعاد الاجتماعية و الثقافية ...

وأضفنا ملحقا خاصا يتعلق بالكاتب عبد الحميد بن هدوقة ، حيث تطرقنا فيه إلى دراسة حياته و أهم أعماله الأدبية و مكانته بين الروائيين الجزائريين، كما قمنا في هذا الجزء بتلخيص رواية "الجازية و الدرأوش".

و ختمنا عملنا بخاتمة ، حاولنا فيها إعطاء أهم النتائج التي أراد الكاتب الوصول إليها في هذه الرواية.

أما المنهج المتبع في بحثنا فقد مزجنا بين المنهج السيميائي لأنه أكثر ملائمة للتعامل مع الخطاب السردي والروائي وبين المنهج البنوي في تحليلنا لبنية شخصيات الرواية وتوضيح أبعادها السياسية .

وفي خوضنا لغمار هذا العمل تزودنا بمجموعة من المصادر والمراجع كانت عوناً ونوراً أضاء دربنا وأثرى زادنا المعرفي ولعل أهمها : كتاب " تطور النثر الجزائري الحديث " لعبد الله الركيبي ، وكتاب " تطور الأدب القصصي " لعائدة أديب بامية ، وكتاب " اتجاهات الرواية العربية في الجزائر " للأعرج واسيني وكتاب " الرواية السياسية " لطفه وادي...

وككل بحث واجهتنا جملة من المصاعب أثناء انجازه منها : صعوبة الالمام بكل جزئيات الموضوع لنقص المراجع التي نتحدث عن ذلك (البعد السياسي) إلا أننا وبعون الله تعالى استطعنا أن نجتاز الكثير من العثرات من أجل إخراج هذا العمل في أحسن حلة .

لا يفوتنا في الأخير إلا أن نرفع أسمى عبارات التقدير والاحترام وعميق الشكر والامتنان لأستاذنا المشرف الدكتور مختار لبزة على حسن توجيهه ونصائحه فجزاه الله خيراً.

ورجاؤنا أن نكون بهذا البحث قد وفقنا إلى ما نصبوا إليه، فإن أصبنا فهذا من فضل الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

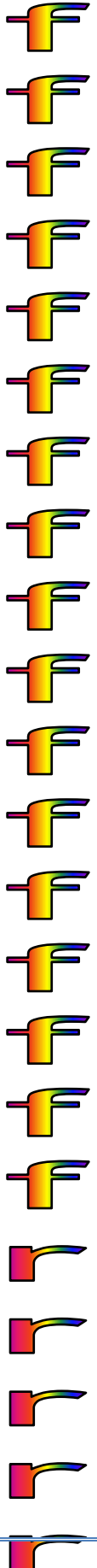
الفصل الأول

واقع الرواية الجزائرية قبل الاستقلال وبعده

أ. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

ب. الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر

ج - الرواية السياسية



أ- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

1- واقع الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية :

قبل الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية يجد الباحث نفسه مضطرا للتعرض للأدب الجزائري الذي اتخذ اللغة الفرنسية أداة للتعبير ، ذلك أن ظاهرة ازدواج الأدب (فرنسي ، عربي) في الجزائر ظاهرة لم تعرفها بقية الأقطار العربية الأخرى فقد حاولت السلطات الاستعمارية القضاء على اللغة العربية و محاولة "فرنسة" و إدماج الشعب الجزائري و هذا ربما ما اوجد ظاهرة الازدواج في الأدب الجزائري.

و هذا ما لم تعرفه الأقطار العربية الأخرى (فاللغة العربية و إن أصابها الجمود في فترة معينة أثناء الحكم العثماني أو الاستعمار الفرنسي فإنها لم تتعرض للتدمير و المنع بحكم القانون)¹ كما حصل في الجزائر فكل ما تعرضت له اللغة العربية في هذه الدول العربية هو وضعها في المقام الثاني في المدارس مثلا كما حصل في مصر خلال الاحتلال الانجليزي إلا أنها سرعان ما تعود إلى ريادتها العربية و من ثم لم يظهر هذا الازدواج لدى أدباء العرب و من ثم لم يعان الأدباء (بالانفصام الذي أحس به أدباء الجزائر الذين كتبوا بالفرنسية)² ، و هذا الانفصام يعود إلى أن هؤلاء الأدباء ولدوا في بيئة عربية و لقنوا في لغتهم القومية - فصحي أم دارجة - فأثرت في تفكيرهم و إحساسهم و كلما تعمقوا في الثقافة الأجنبية نسوا ما تلقوه في صغرهم من جهة ، و اتضح لهم الفارق بين هذا الماضي و ما تعلموه من لغات أجنبية فآثر هذا في تفكيرهم و طرائقهم في التعبير.

¹ - عبد الله خليفة الركبيبي : القصة الجزائرية القصيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر 1983 ص 240

² - المرجع نفسه : ص 241

ربما قد لا يحس بهذا الانفصام من تعلموا لغة أجنبية و هم لا يملكون لغة قومية ذات تاريخ و حضارة عريقة .

و من هنا فقد اعترف البعض من الكتاب الجزائريين بأنهم غرباء منفيون في لغة أجنبية و زاد إحساسهم بهذه الغربة أنهم يكتبون لجمهور غير جمهورهم و لمواطنين غير مواطنيهم ، فقراؤهم خارج بلادهم ، و هذا بسبب وجود الأمية بكثرة داخل وطنهم .

و الواقع أن هؤلاء الأدباء (الجزائريون) الذين عبروا بلغة فرنسية عما يختلج في نفوسهم لم يحسوا بهذه الازدواجية ولم يشعروا بها قبل الثورة لأن هذا الأدب لم تتضح معالمه قبل هذا الوقت و لم يكن محل نقاش بسبب أن اللغة الفرنسية هي التي كانت المسيطرة على الحياة بكل مظاهرها (أما بعد الثورة فان الوضع تغير ، فهي قد قامت لتعيد للجزائر وضعها الحقيقي وشخصيتها العربية ومقومات هذه الشخصية و في مقدمتها اللغة العربية)¹ و من هنا و من الطبيعي جدا ، أن يكون الكتاب الجزائريون جميعا ، كما يقول مالك حداد (قد أدرك الأدباء أن التاريخ و الأدب شيء واحد و ليس علينا أن نختار نحن الكتاب الجزائريون فلقد اخترنا و انتهى الأمر و التزمنا بالثورة و التحقنا بها دون أي وجل.....)² فمالك حداد يريد أو يحاول أن يثبت حقيقة هذا الأدب ، و مدى التصاقه بالواقع الجزائري بالثورة و الوطنية الكبرى .

و من هنا فقد أصبح الأدب الجزائري (المكتوب بالفرنسية) ذا بعد إنساني عظيم عندما بدأ يعطي الأولوية و الصدارة للمسألة الوطنية و جعل منها القضية الأساسية و المحورية لكل كتاباتهم (الأدباء) في تلك الحقبة من الزمن .

1 - عبد الله خليفة الركبي : القصة الجزائرية القصيرة ، ص 243

2 - خضر محمد سعاد : الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية، (د-ط) ، (لبنان) ، 1967،

ص 16 ، الوثيقة "11"

و لقد حاولنا أن نرسم عمودا فقريا لتطور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية من خلال ثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى:¹

و تمتد هذه الفترة ما بين 1945 م إلى 1953 م و قد سادت في هذه الحقبة التاريخية الرواية الانتوغرافية التي لا تزيد عن وصف ما تراه العين يوميا ، فهي تصف و لا تحاول أن تغور في اللوحة الخليفة لافتقادها الرؤية البعيدة إلى حد ما .

المرحلة الثانية:²

و يمكن تحديد هذه الفترة في الحقبة التاريخية الواقعة ما بين 1954م-1958 م و قد ظهرت فيها أعمال أكثر واقعية و أكثر نضجا ، فقد دخل الكتاب أجيج الثورة محاولين البحث عن أسلحة أكثر فعالية و أساليب أكثر بساطة لإيصالها إلى الجمهور مساهمة منهم في تحريكه نحو العمل و الفعل الثوري الفعال ، و قد قدمت هذه الحقبة أعمالا فنية جادة كانت بمثابة لوحة عظيمة للشعب الجزائري و هو في أوج نضاله ، و تقف أعمال محمد ديب و كاتب ياسين الإبداعية على رأس الأعمال التي جسدت بصدق كبير هذه المرحلة التاريخية.

المرحلة الثالثة:³

و هي الفترة الممتدة من 1958م-1962 م فقد تبلور فيها أدب المقاومة أكثر و أخذ أبعادا أكثر شمولية و اتساعا فبعد أن كان يبشر بالحرب في بدايته أصبح يقدر الشهادة في سبيل الوطن و يمجدها لها و رسم تباشير الاستقلال التي بدأت تلوح في الأفق . صاحب هذه

1 - الأعرج واسيني : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، (د - ط) ص75

2 - المرجع نفسه، ص76 .

3 - المرجع نفسه: ص76.

الفترة على المستوى الاجتماعي تصاعد في النضال و الشراسة الاستعمارية المتوحشة ، كما كان من ضحاياها العديد من الأدباء ، نذكر منهم الشهيد مولود فرعون و غيره ، و أحسن من يمثل هذه الفترة محمد ديب ، مراد بوربون و مولود فرعون و مالك حداد بكتاباتة الأخيرة و الطابع العام لهذا الأدب يؤكد أن كتابه التحموا بالواقع الجزائري و بالشعب ، و قاتلوا معه في خندق واحد و على جبهة نضالية واحدة ، هذا ما ضمن الحياة لهذا الأدب و البقاء والاستمرارية له.

2 - المؤثرات الاجتماعية و السياسية على الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

(عندما أتحت الفرصة للروائيين الجزائريين ليعبروا عن أنفسهم انصب اهتمامهم الأول على المشاكل الاجتماعية التي تواجه شعبهم ، وركزوا بشكل خاص على مشاكل الفقر)¹، لأنه مرض اجتماعي خطير منه تأتي كافة الشرور و المشاكل و لما كانت الأغلبية الساحقة من الجزائريين فقيرة فقد عانوا مرارة الجوع و الحرمان اليومي الذي أدى بالكثيرين منهم إلى الموت، و قد هاجر العديد من الجزائريين إلى فرنسا للعمل فيها لكي ينفذوا عائلاتهم من حالة الضنك و الفقر، وقد أدت هذه الهجرة إلى احتكاك العمال الجزائريين المهاجرين بالحضارة الغربية.

لقد عثر هؤلاء العمال على حياة أفضل و كثير منهم تخلى على تقاليد و تبنوا عادات جديدة حملوها معهم عند عودتهم إلى أرض الوطن، كما كان للفقر تأثير كبير على التربية أيضا حيث أعاق إلى حد كبير تطور التعليم في البلاد نظرا لانعدام المصاريف المناسبة للتعليم لدى أولياء الأبناء...

(وسواء عانى الروائيون الجزائريون حالة الحرمان والفقر أم لاحظوها في مجتمعهم فإنهم لم يبقوا ولا ريب جامدين تجاهها فقد جعلوا أنفسهم بصورة تلقائية شهودا على الأوضاع

¹ - عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967-ترجمة الدكتور محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص76.

التي يحيها شعبهم)¹، فتبين رواياتهم بداية عملية تصفية الاستعمار التي كانت تتجلى من خلال الحياة الاجتماعية للجزائريين وأن اندلاع الحرب العالمية الثانية تسبب في تفاقم الأوضاع الاجتماعية ، فقد أدت مذابح 8 ماي 1945 م بسطيف وقالمة وخراطة إلى توجه الروائيين باهتماماتهم العميقة إلى المسائل السياسية وانصرفوا ولو بشكل تدريجي عن المشاكل الاجتماعية، لكن حرب التحرير هي التي جعلتهم يغوصون في أعماق المواضيع السياسية و الوطنية ، فانخرطوا بصفة مباشرة في غمار الثورة متجندين لنصرتها والدفاع عنها.

وبعد الاستقلال عاد الروائيون بنظراتهم وتأملاتهم إلى سنوات الحرب و انتقوا من أحداثها مواضيع لكتاباتهم ورواياتهم ،لأن البعض منهم كان يشعر بضرورة نهاية الثورة ليتمكن من الكتابة إذ أن انفعالهم العاطفي مع الأحداث كان يعجزهم على التأليف خلال سنوات الثورة.

ومن أهم الروائيين في تلك الفترة نذكر مولود فرعون ،كاتب ياسين،مولود معمري، محمد ديب مالك حداد ،أسيا جبار...إلخ

¹ - المرجع نفسه : ص76

ب- الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر

1- واقع الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر:

ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال الأدبي والقصة القصيرة و المسرحية ، ولاشك أن الناس تعودوا قراءة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية و ترجمت معظم الروايات بهذه اللغة إلى العربية و بات الناس يرددون أسماء كتابها ويعرفون معظم كتاباتهم أكثر مما يعرفون على كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية.

ولعل هناك ظروفًا كثيرة أسهمت في أن التعريف بمن يكتب باللغة القومية ظلّ مجهولاً إلى حد ما في حين أنها أسهمت في التعريف بمن يكتب باللغة الأجنبية في الجزائر حتى (إن بعض الدارسين للأدب الجزائري الحديث في البلاد العربية حين عرضوا لهذا الأدب درسوا الآثار المكتوبة باللغة الأجنبية و لم يشيروا من قريب أو من بعيد إلى ما يكتب باللغة القومية فضلا عن الباحثين في البيئات الأوروبية شرقا وغربا الذين احتقلوا بالأدب المكتوب باللغة الفرنسية في الجزائر حتى إن بعضهم اعتبر أن الكتاب الفرنسيون الذين ولدوا فوق التراب الجزائري من الكتاب الجزائريين ، وقد ذهبوا مذاهب شتى في البحث عن الأدلة التي ساقوها لتأكيد غرضهم)¹

ومنه فإن الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية ظهرت متأخرة فهي من مواليد السبعينيات من القرن الماضي بالرغم من أن هناك بذورا ظهرت لها بعد الحرب العالمية الثانية يمكن أن نلاحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني (فهناك قصة مطولة بعض الشيء كتبها "أحمد رضا حوجو" وسمّاها " غادة أم القرى" وهي قصة تعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية ثم هناك قصة كتبها "عبد المجيد

1 - عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط2 ، الجزائر 1983 ، ص198

الشافعي" وسمّاها "الطالب المنكوب" وهي قصة رومنسية في أسلوبها و موضوعها فهي تتحدث عن طالب جزائري عاش في تونس في أواخر الأربعينيات و أحب فتاة تونسية . وسيطر عليه حبها حتى أنه كان يغمى عليه من شدة الحب)¹.

و "غادة أم القرى" و "الطالب المنكوب" ما هما إلا قصتان مطولتان ليس إلا ، (فنحن نعلم أن الفرق دقيق و واضح بين الرواية و القصة المطولة ، فالرواية غير القصة الطويلة ، فهي أكثر تفصيلا و أوسع نظرة ، و أشمل في الزمان و المكان . فإذا كانت الرواية تقدم حياة كاملة أو قطاعا كاملا من الحياة بكل ما يعترى هذه الحياة أو هذا القطاع من تقلبات ، فإن القصة المطولة (الطويلة) كثيرا ما تقتصر على جانب واحد من هذه الحياة أو هذا القطاع من الحياة في أسلوب خاص يجمع بين الإسهاب و الاختصار ، بحيث تصبح معه هذه القصة في منزلة وسط بين الرواية و القصة القصيرة)².

و من هنا فإن البدايات الحقيقية التي يمكن أن تدخل في مفهوم الرواية هي تلك التي ظهرت منذ سنوات أي في السبعينات مثل رواية " مالا تذرؤه الرياح " لمحمد عرعار و رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة و هناك العديد من الروايات التي ظهرت في هذه الفترة سنأتي على البعض منها خلال دراستنا هذه.

1 - عبد الله الركبيبي: تطور النشر الجزائري الحديث : ص 199،200.

2 - محمد مصاييف : النشر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 117

2- السبعينيات عقد الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر:

لقد خرجت الجزائر سنة 1962 م من حرب "الدمار" ضد الاستعمار الفرنسي و بالتالي فقد دخلت منذ هذه السنة (1962م) في حرب ضد الزمان و في جو من التغييرات القاعدية و كان الأساس في ذلك كما قال - الرئيس الراحل هواري بومدين - هو استغلال كل الاستثمارات في صالح الجماهير الشعبية ، و عليه بدأ العمل على جميع الأصعدة سواء الثقافية ، العلمية ، الاقتصادية ، السياسية أو الاجتماعية

و من هنا نطرح سؤالاً هاماً : - هل كان الأدب الجزائري (الروائي) في مستوى هذه التغييرات الجذرية على جميع الأصعدة ؟

إذا حاولنا أن نرجع قليلاً بهذا الأدب إلى الوراء ، و دخلنا حقبة الثورة الوطنية من جديد بكل التناقضات التي أفرزتها ، نجد أن الأدب الروائي الجزائري المكتوب بالفرنسية حاول الخروج من ضيق الرؤية إلى آفاق أكثر انطلاقة و تقدماً و أكثر إشرافاً و وعياً بالمرحلة ومهامها العاجلة و دور الأدب و الفن بشكل عام ، في وقت غابت فيه الرواية المكتوبة باللغة العربية باستثناء الروايات التي ظهرت قبل الاستقلال و التي ذكرناها سالفاً ، فقد صاحب ذلك ظهور مهام جديدة و أساسية أهمها - القضاء على النظام البرجوازي الاستعماري عن طريق الثورة و قيام النظام الاشتراكي محله ، هذا الأمر تطلب العديد من السنوات و ظلت الرواية تسير بخطى متثاقلة إلا أن جاء الطاهر وطار و حاول إخراج (بإبداعه) الفن القصصي بما فيه الرواية من (التابوت) اللغوي و المضامين المستهلكة ، و مع بداية السبعينيات التي شهدت تغييرات قاعدية و ديمقراطية كبيرة كانت الولادة الأخرى و الثانية للرواية الجزائرية و الأكثر عمقا ، فظهرت رواية "اللاز" للطاهر وطار كإنجاز فني جريء و ضخم يطرح بكل موضوعية و واقعية قضية الثورة الوطنية لا من وجهة التحالفات المنطقية لقوى الثورة التي فرضتها تلك المرحلة ، و لكن من وجهة التناقضات الداخلية التي كانت تحدث داخل الحزب الواحد .

و الشيء نفسه قام به مرزاق بقطاش في روايته " طيور في الظهيرة " فقد حاول أن يغطي فنيا انجازات الثورة الوطنية التي لم تتح فيها الظروف الصعبة للرواية العربية في الجزائر أن تقوم بدورها التاريخي.

و إذا عدنا إلى الطاهر وطار نجد أن "اللاز" تعتبر عملا أدبيا جريئاً لأنه ربما الوحيد الذي تناول قضية الثورة الوطنية بكل شجاعة فمعظم الذين تناولوا الثورة فشلوا بشكل من الأشكال ، و سقطوا في الديماغوجية Demag-gie المجانية و الشعارية التي تضر بالعمل الأدبي أكثر مما تنفعه ، فوجد مثلاً " محمد عرعار " في روايته " ما لا تذروه الرياح" يسقط - ربما من غير وعي - إلى أدب يؤمن بالروح (السوبرمانية) (superman) للمجاهد أو المناضل أو الثوري الجزائري ، فهو بذلك يحرم الجندي أو المناضل من إنسانيته و يبعده عن واقعه كذلك نجد أن عبد الحميد بن هدوقة في (نهاية الأمس) يخضع للنمطية نفسها و يقع فيما وقع فيه محمد عرعار فهو يصور (البشير) بطل الرواية ، الجندي الذي يهاجم الفيالق العسكرية الفرنسية و لا يموت أبدا .

و مع بداية السبعينيات من القرن الماضي ، ظهرت على مستوى الواقع اليومي الاجتماعي تغييرات جذرية غيرت وجه الجزائر فكانت الثورة الزراعية ، و التسيير الاشتراكي للمؤسسات و التأمينات و الطب المجاني ...

مع هذه التغييرات (و في ظل هذه الظروف ، نشأ أدب جديد (جزائري) يحمل بين طياته الروح الجزائرية التي فرضتها ظروف متميزة مرت بها الجزائر)¹ ، (و يعتبر هذا الأدب امتدادا لأدب الثورة الوطنية و قد يكون أكثر تطورا منه ، متجاوزا في الكثير من نماذجه المرحلة النقدية والحماسية إلى مرحلة أكثر تقدما تحاول أن ترسم واقعا معيشا و بعضا من قسما (المستقبل)² .

1 - الأعرج واسيني : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 98 .

2 - الأعرج واسيني : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ص 98 .

فالطاهر وطار الذي جسّد في (اللاز) مشاكل الحركة الوطنية و ضرورة إيجاد الحزب
الطلائعي (القائد) الذي تلتف حوله كافة القوى الوطنية ... ، أصبح يكتب عن الثورة
الزراعية و مشاكلها المطروحة ، (الواقعي و الموضوعي منها) من خلال روايته (الزلزال)
فمن خلال شخصية (بو الأرواح) يكشف الكاتب عن الألعاب الدنيئة للإقطاع الذي لا
يتوانى عن ضرب كل المنجزات الثورية حفاظا على مصالحه المهددة .

و في هذه الرواية أذاب " الطاهر وطار " الجدران السميكة التي بنتها الرجعية المتمثلة في
الإقطاع و حلفائه ، بغية الحفاظ على ممتلكاتها و أخلاقياتها .

كما نجد " عبد الحميد بن هدوقة " من خلال روايته و رائعته " ربح الجنوب " استطاع
أن يشرح وضعا مرفوضا قلبا و قالبا على كل المستويات ، فمن خلال الإقطاعي
" ابن القاضي " و الراعي (رابح) و (نفيسة) نموذج المرأة البرجوازية الصغيرة المتجذرة
مستقبلا من جهة التقدم ، و من خلال العجوز (رحمة) التي تمثل ذاكرة الثورة الوطنية
بحسها الشعبي و وعيها البسيط بكل أحلامها و آمالها فكانت الثورة الزراعية الحلم الذي توج
صراعات (رابح الراعي و نفيسة) التي كانت قطعة ثمينة بين يدي أبيها (ابن القاضي)
و جزءا من الأملاك الخاصة التي تدر له أرباحا طائلة .

و في رواية " العشق و الموت في الزمن الحراشي " للطاهر وطار (فالشريف)
و (إبراهيم) اللذين يناضلان من أجل بناء المجتمع الاشتراكي و (جميلة) التي تمثل نموذج
المرأة الواعية التي تقف على تربة صلبة بجانب الرجل في نضاله ضد كل القيم المتعفنة ،
إن هذه الشخصيات تمثل الوجه الآخر لتفاني الشبيبة الجزائرية المدركة لجذلية التغيير ، من
أجل مبادئها السامية و تفاني طبقة كاملة في صراعها من أجل الخروج بزمَن التحول هذا
- الزمن الحراشي - بكل أفراحه و أحزانه ، بجزائر ثورية ، جزائر الاشتراكية العلمية ،
جزائر الطبقة الكادحة ... في حين ليس (رضوان) و (مصطفى) إلا صورة مصغرة
لطبقة الرجعية في الجوهري ، تستعمل - كل أسلحتها - لضرب انجازات التحول الاشتراكي ،

و المكاسب الديمقراطية التي حققتها الجماهير العريضة من الكادحين ، فهما يقفان حجر عثرة في وجه التطور ، و الثورة الزراعية و ضد الاشتراكية كمنهج علمي لإخراج الجزائر من عالم التخلف .

غير أن تحالف كل القوى الوطنية ، الديمقراطية و الثورية وقف في وجه هؤلاء و غيرهم من الإقطاعيين . كما نشير هنا إلى رواية واسيني الأعرج (جغرافية الأجساد المحروقة) و التي تتناول بالبحث إشكاليات الغربية ، من خلال نماذج بشرية بسيطة " كحمو " و "حسن " و "زينب" و غيرهم ...و بهذا تحاول أن تطرح قضية المغتربين ، أي الأوضاع الرديئة التي يعيشها هؤلاء و التي فرضتها الرأسمالية الفرنسية التي لا تعرف إلا تحقيق الأرباح ، كما تشير الرواية ، إلى ضرورة إعادة إدماج هؤلاء المغتربين (الطاقات الفعالة) لبناء المجتمع الاشتراكي في الجزائر، و الاستفادة من تجاربها العالمية التي تعود بالخير و المنفعة على الجزائر و من هنا ، فمع ضراوة هذا الصراع السياسي و الاجتماعي و تحقيق مكتسبات جماهيرية جديدة على أرض الواقع اليومي ، و احتلال مراكز قوة جديدة من طرف القوى الوطنية و الديمقراطية في البلاد ظهر هذا السيل من الروايات ، كتجسيد فني لهذه المرحلة ، و لهذا الوضع المستجد الذي ظهر مع بداية السبعينيات.

و معظم هذه الروايات و الأعمال الأدبية بمختلف اتجاهاتها ، تهدف في مجملها إلى خلق المجتمع البديل الذي يدمر كل القيم البالية ، و يوفر الخبز لكل فم و الفراش و الدفئ و المدرسة لكل مواطن .

و من هنا فليس سرا إذا أطلقنا على السبعينيات (1970م-1980م) عقد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، فقد شهدت هذه الفترة وحدها ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر - على الإطلاق - من انجازات سواء أكانت على الصعيد الاجتماعي ، السياسي ، الاقتصادي أو الثقافي ، فكانت الرواية عبارة عن تجسيد لهذه الانجازات و هذه التغييرات .

و لعننا نستطيع أن نعدد هذه الروايات أو البعض منها و التي ظهرت في هذه المرحلة
(مرحلة السبعينيات) :

- نار و نور ، دماء و دموع ، الخنازير : الدكتور عبد المالك مرتاض
- اللاز ، الزلزال، القصر و الحواب، عرس بغل، العشق و الموت في الزمن الحراشي : الطاهر وطار.
- طيور في الظهيرة لمرزاق بقطاش.
- ريح الجنوب ، بان الصبح ، نهاية الأمس : عبد حميد بن هدوقة.
- ما لا تذروه الرياح ، الطموح : عبد العالي محمد عرعار.
- الشمس تشرق على الجميع ، الأجساد المحمومة : إسماعيل غموقات.
- جغرافية الأجساد المحروقة ، وقائع من أوجال غامر صوب البحر : واسيني الأعرج .
- حب أم شرف : الشريف الشناتيلية .
- باب الريح : علاوة وهبي .
- نجمة الساحل : بوشفيرات عبد العزيز.

3- الرواية الجزائرية في الثمانينات:

كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحويلات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاه تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر (روايات واسيني الأعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة" سنة 1981 م، و "أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983 م، ورواية "نوار اللوز" أو "تغريبة صالح بن عامر الزوفري" سنة 1982م، التي يستثمر فيها التناص مع تغريبة ابن هلال وكتاب "المقيري" "إغاثة الأمة لكشف الغمة"¹.

كما أخرج واسيني الأعرج نمطا روائيا آخر في هذه الفترة تحت عنوان "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" سنة 1983م، الذي يهدر فيها دم الشيوعي "خضر" وهو من الشخصيات السياسية الأساسية في هذه الرواية، كان شيوعيا انتقد نظام الحكم بذبحه ذلك المجاهد البسيط "عيسى" زمن الثورة وهذه الرواية مثلت النظرة النقدية للتاريخ الرسمي الجزائري. كما كتب الحبيب السايح رواية "زمن التمرد" سنة 1985 م، ومن الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا أعمال الروائي جيلالي خلاص رواية "رائحة الكلب" سنة 1985م، وروايته "حمائم الشفق" سنة 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته "البزاق" سنة 1982م، و"عزوز الكابران" سنة 1989 م، (الذي يقف فيها شيخ الجامع وهو شخصية من شخصيات الرواية، يعد رمزا للتيار السلفي المتضامن مع النزعة الوطنية، ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة في الجوانب الإيديولوجية المتباينة، في هذه الرواية يلتقي المعلم وهو من الشخصيات الأساسية بهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر حيث يؤنب شيخ الجامع هذا المعلم و يخبره بأنه غير راض عليه، لأنه في رأيه لا يعلم

1 - بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحدائة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، (ط 1)، 2005م.ص9.

الأطفال ما ينبغي تعليمه وهو أن يعلمهم الحقيقة و كذا التمرد على حاكم مثل «عزوز الكابران»¹.

إن لقاء المعلم بشيخ الجامع في الزنزانة وحوارهما حول ضرورة التمرد على عزوز الكابران (يشير إلى تضامن الوطني القومي مع السلفي من أجل خدمة القضية الوطنية، ولكن الملاحظ أن شخصية شيخ الجامع أكثر حضورا في النص حيث تعبر عن الهيمنة الإيديولوجية الغالبة على الرواية، كما يلاحظ في هذه الرواية أن شرعية السلطة تقوم على العنف باعتباره الوسيلة الأساسية لتحقيق المطلب السياسي.²)

وقد (أخرج رشيد بوجدره عدة أعمال راوئية نذكر من بينها رواية "التفكك" سنة 1982 م، و" المرث" سنة 1984م، "وليليات امرأة آرق" سنة 1985، و" معركة الزقاق "سنة 1986م)³ كما يتابع الطاهر وطار في هذه الفترة كتابة جزئه الثاني من رواية "اللاز" وهي " تجربة العشق و الموت في زمن الحراشي " سنة 1980م، (الذي يرسم فيه مآل الثورة بعد الاستقلال، عبر الاصطفاف بين الحركة الطلابية وممن يتوسلون الدين ليجهضوا الثورة الزراعية، ويجهزوا على التحول الاشتراكي).⁴

وغير هذا من التجارب الروائية و منظورات و رؤى أصحابها لمسالك التجديد و مواقفهم المتعددة في التعامل مع قضايا و إشكاليات الواقع الجزائري في الثمانينات، إذ رأى بعضهم في التأصيل السبيل الأمثل لتحقيق الحداثة والتجديد في تجربته الروائية، مثلما نجد ذلك عند واسيني الأعرج، (أمّا البعض الآخر فقد رأى في التجديد عن طريق الاشتغال المكثف على اللغة بتحويلها إلى فضاء إبداع و تعقيد السرد السبيل الأمثل القادر على تحقيق المغايرة

1 - بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية: ص9

2 - علال سنقوفة: المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، وزارة الثقافة والاتصال ،مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج، ط1، 2001م.ص 74،75

3- بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص9.

4- نبيل سليمان:التجريب في الرواية الجزائرية، ص 68.

واكتساب تجاربهم سمات الجدة وتجاوز ما هو سائد في السرد الروائي، مثلما تجسد في تجربة رشيد بوجدره وجيلالي خلاص و غيرهما...1.

إن ما يلفت النظر في هذا المنحى هو السعي الجاد من رواد الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية إلى الانخراط ضمن التوجه الجديد في الممارسة الروائية و الاستفادة من تقنيات الرواية الجديد سواء العربية منها أم العالمية، حيث نشر عبد الحميد بن هدوقة روايته "الجازية و الدراويش " سنة 1983م التي مثلت إضافة نوعية لمسيرته في علمه الروائي، حيث استثمر فيها سيرة بني هلال ليتناول من خلالها إشكاليات الثورة زمن الاستقلال، وما تم عنها من صراعات و تناقضات و تشخيص إخفاق العديد من اختياراتها و انحراف ممارستها عن الأسس و المبادئ الأصلية التي تبنتها زمن ثورة التحرير، و (هي النقدية السياسية التي بلور معالمها الأديب الطاهر وطار في روايته "الحوات والقصر" سنة 1980م، و " تجربة في العشق" سنة 1988م، حيث كشف فيهما عن سمعة السلطة القمعية والوصولية و الانتهازية التي تحكم جزائر الاستقلال...2).

ومع كل هذه الأعمال الروائية التي ترمي إلى إحداث التجديد و الخروج عن المؤلف السردية، شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا و جماليا، بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري، وإدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات و تناقضات زمن الاستقلال، إضافة أيضا إلى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري للممارسة الروائية، و(لهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة وساذجة في التعبير عن الموقف

1 - بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب و حداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، ص 09، 10.

2 المرجع نفسه ، ص10.

من واقع الجزائر في السبعينات والثمانينات، وما ميزه من مظاهر وأشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة)¹.

إنّ ما نلاحظه على الكثير من هذه النصوص هو احتفاؤها بموضوع الثورة وتمجيدها، وقد تحقق الاستقلال من منظور ذاتي ضخم هذه الثورة إلى حد اعتبارها أسطورة، ونزه الرجال الذين قاموا بها من كل المذلات والأخطاء إلى حد العصمة ، وهذا ما تعكسه روايات "الانفجار" 1984م، و"هموم الزمن الفلاقي" 1985م، و"بيت الحمراء" 1986، و"الانهيار" 1986م، ورواية "زمن العشق و الأخطار" 1988م، و"خيرة و الحيال" 1988م لمحمد مفلح، و "الألواح تحترق" سنة 1982م لمحمد رتيلي، و "الضحية" 1984م لحيدوسي رابح، و أخيرا " تتلأأ الشمس" 1989م لمحمد مرتاض، و غيرها من النصوص الروائية التي (أسهمت في تكريس إيديولوجية السلطة المهيمنة وهو الموقف الذي لم تلتزم به الكثير من التجارب الروائية التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير قبل الاستقلال و بعده، ومن منظور نقدي وهو ما عبرت عنه تجارب الطاهر وطار وواسيني الأعرج و رشيد بوجدر و جيلالي خلاص و لحبيب السايح وغيرهم من كتاب هذا الجيل.)²

4-الرواية الجزائرية في التسعينيات:

لقد كانت فترة التسعينيات حافلة بالروايات التي حاولت التأسيس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية التي أنتجته و بالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب الذي مروا به .

(وما تردد في روايات التسعينيات هو تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجيناً بين نار السلطة و جحيم الإرهاب، وسواء أكان أستاذاً، كاتباً ، صحفياً ، رساماً أم موظفاً، فإنهم

1- بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب و حداثّة السردية في الرواية العربية الجزائرية: ص 10.

2 - المرجع نفسه : ص 11.

يشتركون جميعا في المطاردة و التخفي وهم يشعرون دوما أن الموت يلاحقهم)1. ومازالت روايات فترة التسعينيات وما بعدها مشدودة لتلك الرؤية الإيديولوجية ويرجع ذلك للأوضاع المأسوية التي مر بها الوطن، وهذا ما ترك بصمته على الفن، فكل النصوص الروائية التي ظهرت في فترة المحنة، حاولت أن تعكس ما يتعرض له المجتمع في قالب يهيمن عليه البعد الإيديولوجي وهذا ما يؤكد الهيمنة الإيديولوجية على الخطاب الروائي الجزائري .

إذا فموضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب، كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، إلا أن هذا (العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبع في السنوات الماضية، إذ لم تكن عشرية الأزمة فقط بل كذلك كانت عشرية التحول نحو اقتصاد السوق و تسريح العمال و إلغاء انتخابات 1992م...)2.

حيث واكبت الرواية الجزائرية هذه المرحلة الجديدة، مرحلة التكتلات و بها ظهرت رواية المعارضة كبديل عن رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد أحداث 08 أكتوبر 1988م، وبذلك فسحت المجال لرواية المعارضة بعد توفر مناخ الحرية الذي أفرزه دخول الجزائر مرحلة اختيارات جديدة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، فزالت سياسة الحزب الواحد، و جاءت التعددية الحزبية، فرافق هذا المعطى السياسي اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، و بذلك (أصبح النص الروائي ملزما بتجديد موقفه مما يحدث، و كما كان الروائي الصوت المعبر عن هموم الجماعة و الصادر عن عمقها، كان أول ردود فعله اتجاه ما يحدث هو الوعي بالمأساة الوطنية)3.

1 - بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب و حداثّة السردية في الرواية العربية الجزائرية: ص 10 ، 11.

2 - إبراهيم سعدي: تسعينات الجزائر كنص سردي، الملتقى الدولي السابع عبد الحميد بن هدوقة للرواية، أعمال و بحوث / مجموعة محاضرات الملتقى الدولي السادس، د ط، د ت، ص 143،145.

3 - إبراهيم سعدي: الرواية الجزائرية و الراهن الوطني، الخبر الأسبوعي العدد 4، ديسمبر 1999م، ص14.

فظهرت روايات لمختلف الأجيال التي تعاطت موضوع العنف السياسي وآثاره اجتماعيا، اقتصاديا وثقافيا، حيث يلتقي الطاهر وطار في "الشمعة و الدهاليز" مع واسيني الأعرج في "سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها، كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في "فتاوي زمن الموت" و محمد ساري في "الورم"، و بشير مفتي في "المراسيم و الجنائز" (فمثلا في "سيدة المقام" يصور لنا واسيني الأعرج معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة، و يرجع سبب هذه المعاناة إلى النظام و التيار المظلم المعادي لكل مظاهر التقدم والتحضر)¹.

وتصور لنا الروائية فضيلة فاروق حياة صحافية جزائرية في شرق البلاد من خلال روايتها "تاء الخجل"، إذ تحقق في عملية انتحار فتاة لتصل إلى حقيقة أنها قفزت من أحد جسور قسنطينة تلبية لرغبة والدها، إذ أنها اغتصبت من طرف الأيدي الآثمة، وفي الوقت الذي تصدم فيه هذه الصحفية تبدأ الاغتصابات الجماعية في جزائر التسعينيات، فتصل الصدمة ذروتها و تفضل أن تغادر الوطن الجريح، لأن الوضع فيه خانق، (ومن خلال رحلتها مع المغتصابات تتعاطف مع إحداهن لأنها من نفس منطقتها و تعيش معها أيام الاحتضار)².

إذا فالرواية هي شهادة على واقع، و شهادة على حضور ذات المثقف المعذبة فهي تجسد في أحد أوجهها حضور المثقف و محنته في رواية الأزمة، إنها ثقافة الوطن المجروح.

ونجد الطاهر و طار في "الشمعة و الدهاليز"، يدخل القارئ في دهاليز كثيرة إذ ما ينفك أن يخرج من دهليز حتى يدخل في آخر، و بقدر تعدد الدهاليز تعدد معها التساؤلات الكثيرة المحيرة...، إنها حالة يتغلب فيها عنصر الشر على عنصر الخير و لكن الشمعة رغم ذلك تضيء، (إنّ وقائع الشمعة و الدهاليز الروائية تجري قبل انتخابات 1992 م التي خلفت

¹ - بن صبيات: الرواية الجزائرية تغتد إلى البعد الذاتي حوار مع الروائي إبراهيم السعدي، جريدة الخبر ، الثلاثاء 11 جوان 2001، ص 19.

² - آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل و النشر و التوزيع، ط، د ت، ص 77.

ظروفا أخرى لا تعنى الرواية في هدفها الذي هو التعرف على أسباب الأزمة و ليس عن وقائعها و إن كانت وظفت بعضها)1.

إنّ نهاية الرواية لا ترد الإرهاب إلى جهة معينة و لا تردّها خاصة إلى الحركة الأصولية كما هو معروف، بل إن إضفاء شمعة المثقف الوطني يعود إلى عدة أطراف، وكل هذه الأطراف اتفقت على شيء واحد هو العنف، و في رواية " تيميمون" يحاول بوجدرة أن يرصد لنا من عمق الصحراء الشاسعة مسلسل العنف و الاغتيالات إبان الأزمة، وإن كان وسط الصحراء بعيدا نوعا ما عن صخب الإرهاب وما يحدثه من رعب، ولكن كيف له أن يبتعد، و أخبار الموت تصله مسموعة و مكتوبة من خلال المذياع و الجريدة، فيرسم لنا حرق المدارس و اغتيال المثقفين والأجانب وكذا السياح وذلك من خلال الأخبار الثمانية التي تتخلل الرواية، والتي نعرف من خلالها أنّ الاغتيالات تصوب بدقة نحو المثقفين والفنانين، و لكنّها تصوب أيضا نحو الناس العاديين. إنّ اثر الإرهاب في "تيميمون" ليس محركا للتاريخ ، بل هو ظاهرة طارئة على التاريخ و حدث عارض يعيق الحركة كما يقطع حبل التسلسل في القراءة، وسيبقى محطة سوداء في طريق التاريخ مثلما تظهر الأخبار بقعا سوداء في جسد الرواية....

إنّ ظاهرة الإرهاب التي ميزت الكتابة الروائية في عقد التسعينيات بدأت الإشارة إليها منذ السبعينيات، و جاءت بشكل صريح مع الطاهر وطار في رواية " العشق و الموت في زمن الحراشي"، إذ تصور لنا الرواية الصراع بين حركة الإخوان المسلمين و بين المتطوعين لصالح الثورة الزراعية...

1 - مخلوف عامر: الرواية و التحولات في الجزائر،(أثر الإرهاب في الكتابة الروائية) منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط، 2000 م، ص 316.

ج - الرواية السياسية

1- مفهوم الرواية السياسية :

(نعني بالرواية السياسية "Romanpolitiq" تلك الرواية التي تنصب على مناقشة الأفكار السياسية وبرامج الأحزاب النظرية والعملية، وتحديد تصورات المذاهب السياسية وتبيان مواطن اختلافها وتشابهها، مع رصد جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم و العامل مع أرباب العمل)¹ ، واستجلاء الفكر النقابي والنضال السياسي وما يتبعهما من اعتقال وقمع وقهر وحبس للمواطنين والمناضلين في الزنازين وسجون التعذيب والتطهير. كما تقوم الرواية السياسية باعتبارها نزعة روائية "على أطروحة الدعوة إلى أفكار سياسية معينة وتقنيد غيرها مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية على حساب التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى. وتتنزع هذه الرواية ذات المنحى السياسي نحو نوع من الواقعية ، ولا تتميز عن غيرها من الروايات إلا بتأكيدا على الحدث السياسي. (كما أن الرواية التي يتمكن كاتبها من تقديم رؤيته السياسية كقضية من قضايا الواقع السياسي من خلال معالجة فنية جيدة هي رواية سياسية)²

وهي أيضا الرواية التي (تمثل القضايا و الموضوعات السياسية فيها الدور الغالب ، بشكل صريح أو رمزي . وكاتب الرواية السياسية ليس منتما - بالضرورة - إلى حزب من الأحزاب السياسية لكنه (صاحب إيديولوجيا) ، يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمنى)³.

1 - جميل حمداوي ، الرواية السياسية والتخييل السياسي ، موقع ديوان العرب ، 1
<https://www.diwanalarab.com/spip.php?article8092>

2 - طه وادي ، الرواية السياسية ، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م ، دار النشر للجمعيات المصرية ، ص 6

3 - المرجع نفسه ، ص 10 .

و كاتب الرواية السياسية كما يرى الدكتور طه وادي مطالب - أولاً و أخيراً - بأن يشكل رواية جديدة فنية بالإضافة إلى تقديم رؤية سياسية تتلاءم مع أهداف المجتمع و طموح الشرائح التقدمية من أبنائه ، و معنى ذلك أن : الرواية السياسية =

1- رواية فنية : مثل أي رواية مكتملة عناصر التشكيل

2- تحمل وجهة نظر سياسية : (تشكل قضية رئيسية فيها)¹ و على سبيل المثال نذكر

الرواية الجزائرية ، لا سيما أثناء فترة الحزب الواحد إذ كانت تتسم بهيمنة العامل الإيديولوجي ، أي أن استراتيجية الروائيين الجزائريين لم تكن تقتصر على تقديم مادة جمالية فنية تعتمد على السرد فقط ، بل كانوا يسعون إلى جعل القارئ يشاطرهم همومهم السياسية والعقائدية ، و إقناعه بما يعتقدون أنه صواب في سبيل تغير المجتمع و حل تناقضاته ، و السعي وراء حل المشاكل السياسية و الاجتماعية و قد تحدث الروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة عن مهمة الكاتب قائلاً بأنه : (" يجب أن يكون (...) الداعي لمثل عليا للمجتمع الذي يعيش فيه... و في نفس السياق يضيف أنه عليه " أن يكون ذا تأثير في مجتمعه ")² و عند تحليل أي رواية سياسية ، فهذا معناه أننا يجب دراسة العناصر الأساسية التي تشكل بنية أي نص سردي و تتمثل في :

1- الراوي : الذي يروي الأحداث

2- الحدث الروائي : بيان مسيرة الحدث باعتباره مرتبطاً بالزمن السردي داخل النص ثم

بيان علاقة إطار الحدث (القضية السياسية مثلاً) بالواقع الاجتماعي لأن الحدث الروائي لا يدور في فراغ ، لأنه يرصد تجربة إنسانية في واقع محدد ...

3- الزمان و المكان أو (الزمانكانية) : فهي من أهم عناصر الرواية ، لان الرواية

الحديثة تدور أحداثها و أفعالها في واقع بشري محدد زمانياً و مكانياً .

¹ - طه وادي ، الرواية السياسية ، ص 10.

² - إبراهيم سعدي ، ص 107 .

4- الشخصية الروائية : في محاولة لتفسير نص قصصي يحمل رؤية سياسية ، ينبغي أن نتأمل الشخصية ، من حيث كونها صاحبة (موقف) من القضية التي يتحرك في إطارها الحدث الروائي ، و بما أن الرواية السياسية تعالج مسألة سياسية فإننا نجد مواقف الشخصيات الروائية داخل النص تختلف - تأييدا أو معارضة - إيجابا أو سلبا فيما بينها .

2- الرواية السياسية في الغرب:¹

ظهرت الرواية السياسية في الغرب نتيجة للصراعات الإيديولوجية والأهواء السياسية المتطاحنة، وكان الصراع السياسي حادا بين الرأسمالية والواقعية الاشتراكية ، كما تغنت هذه الرواية بموقع الإنسان الغربي ومصيره في ظل أنظمة الحكم الغربية المعاصرة حتى إن السوسيولوجي لوسيان غولدمان يعرف الرواية الغربية بأنها بحث البطل الإشكالي عن القيم الأصلية في مجتمع متدهور يتسم بالاستلاب و الاغتراب و ضياع الإنسان وهيمنة القيم الكمية و معايير السوق والتبادل السلعي والإنتاجي ، بينما جورج لوكاش يرى أن الرواية لم تظهر في الغرب إلا لتفرز تناقضات المجتمع البورجوازي و تصوير صراعه ضد الطبقات الاجتماعية المعارضة الأخرى .

و من أهم الروايات السياسية الغربية نجد (الأم) لماغسيم غوركي، و(الدون الهادئ) لشولوخوف التي تمجد صراع و نضال الطبقة العاملة والفلاحية لبناء الاشتراكية و (الجريمة و العقاب) لدوستفسكي التي تدين الواقع السائد الطافح بالتناقضات(الفقر - البؤس - الربا - الاستغلال ..).

و (عرفت فترة العشرينيات و الثلاثينيات من القرن العشرين - بعد نجاح الاشتراكية والقضاء على النظام الإقطاعي- روايات تدافع عن النظام الجديد و تلتزم بتصوير إيجابياته على

¹ - جميل حمداوي ، الرواية السياسية والتخييل السياسي، موقع ديوان العرب ،

<https://www.diwanalarab.com/spip.php?article8092>

الرغم من وجود روايات معارضة لهذا النظام الذي استهدف اضطهاد المثقفين و قمعهم .
و سار على غرار شولوخوف ألكسي تولوستوي بروايته (دروب الآلام)، كتب الجزء الأول
سنة 1921م، بينما كتب الجزء الثاني في سنة 1941م. و من كتاب الرواية السياسية
الآخرين نذكر: موباسان وإرنست هيمنقواي في روايته الرائعة (لمن تفرع الأجراس؟)،
و مالرو، ورومان رولان، و جاك لندن)¹.

وقد واكب الأدباء الغربيون كل الهزات السياسية ، الاقتصادية والاجتماعية المختلفة داخل
النظام الرأسمالي، وهناك من الكتاب السياسيين من شارك في النضال المستميت جسديا
و سياسيا مثل:مالرو وهيمنقواي .

3- الرواية السياسية عند العرب:²

لم تظهر الرواية العربية السياسية حسب حسين مروة إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية
مع انطلاق حركة القرار الوطني وانحسار المد الاستعماري التدريجي.

و قد رصدت الرواية السياسية العربية عدة قضايا و ظواهر مجتمعية وسياسية كواقع
الاستعمار و الاستقلال و الفترة السياسية ما بعد الاستقلال والصراع الإيديولوجي و الحزبي
و الحروب العسكرية والسياسية (حرب أكتوبر، والحرب اللبنانية...)، و النكبات و الهزائم
(نكبة 1948م، والعدوان الثلاثي على مصر، وهزيمة 1967م)، والصراعات القومية (الصراع
العربي/ الإسرائيلي)، والثورات المناصرة و المضادة، ناهيك عن موضوعات أخرى كمصادرة
حقوق الإنسان العربي ورصد ظاهرة السجن العربي أو المعتقل السياسي واستبداد السلطة و
انعدام الديمقراطية و عدم مشروعية الانتخابات بسبب التزوير و التزيف و موالاة الأحزاب
السياسية اليمينية للسلطة وموالاة الأحزاب اليسارية للمصادر الأجنبية .

¹ - جميل حمداوي، الرواية السياسية والتخييل السياسي ، موقع ديوان العرب .

² - المرجع نفسه.

و يقول صالح سليمان عبد العظيم : (... أن اهتمام الرواية العربية بالسياسة انعكس على طبيعة القضايا التي تناولتها، حيث اهتمت بالعديد من القضايا السياسية مثل: العدالة الاجتماعية، و حرب أكتوبر، والحرب اللبنانية، وأساليب القهر السياسي، و الإرهاب الفكري، و التعذيب المادي و المعنوي، بما يعني أنها تناولت و بشكل أساسي - إذا استثنينا قضية الصراع العربي الإسرائيلي - المشكلات الناشئة عن ظلم النظام السياسي و الاجتماعي)¹ . و تناول الدكتور حمدي حسين في كتابه (الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر (1965-1975) محاور سياسية مركزة تتمثل في (قضية) الصراع مع العدو من خلال هزيمة 1967 م، و حرب الاستنزاف، و نصر أكتوبر 1973 م، والحرب في اليمن، و قضية فلسطين، و قضية الديمقراطية من خلال التناقض بين الشعار و الممارسة و العنف السياسي، و أخيراً، قضية العدالة الاجتماعية سواء في القرية أم المدينة .

ويمكن حصر الرواية السياسية العربية في ثلاث رؤى² :

- 1 - الرؤية السياسية المحلية (ما يتعلق بإقليم محلي معين أو جهة أو جماعة) .
- 2 - الرؤية السياسية الوطنية .
- 3 - الرؤية السياسية القومية .

¹ - جميل حمداوي ، الرواية السياسية والتخييل السياسي، موقع ديوان العرب .

² - المرجع نفسه.

4- الرواية السياسية عند الباحثين في الغرب والشرق¹:

لقد اهتم كثير من الباحثين والدارسين في الغرب والشرق بالرواية السياسية تنظيراً وتطبيقاً ومن بينهم:

- سبير M.E.Spear في دراسة بعنوان " الرواية السياسية" 1950 م؛
- جوزيف بلوتتر في " الرواية السياسية The Political Novel "سنة 1955م؛
- إيرفينج هاو في " السياسة والرواية Politics and the novel "سنة 1960م؛
- أحمد محمد عطية: الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، مكتبة المدبولي، صدرت سنة 1981م؛
- فيصل دراج: الواقع والمثال، مساهمة في علاقة الأدب والسياسة، دار الفكر الجديد، بيروت، ط1، 1989م؛
- الدكتور حمدي حسين: الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 سنة 1994م؛
- طه وادي: (السياسة والفن في الرواية العربية المعاصرة)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، العدد1، المجلد 50، مايو سنة 1990م؛
- أحمد فطري: الأدب السياسي عند عبد الكريم غلاب، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1982م؛
- حسين مروة: (علاقة السياسة بالأدب في المجتمع العربي)، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد171، جويلية 1985م؛
- صالح سليمان عبد العظيم: سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 ، 1998م.

¹ - جميل حمداي ، الرواية السياسية والتخييل السياسي ، <http://www.diwanalarab.com>،

5- الرواية السياسية في الجزائر :

لقد فرضت الظروف النضالية الاجتماعية للواقع الجزائري أن تكون الرواية أكثر الأنواع الأدبية ملائمة للتعبير عن قضاياها و أزماته ، أوجبت هذه الظروف - أيضا - أن يكون الموضوع الغالب عليها و المتحكم في محاور مضمونها - هو موضوع (القضايا السياسية) سواء كانت هذه القضايا مرتبطة بتصوير بعض ما حدث في مرحلة النضال مع المستعمر الفرنسي ... أو كانت متصلة بمشكلات ما بعد الاستقلال : السياسية ، الاجتماعية ... (إن الأدب بالضرورة - انعكاس ايجابي لحركة الواقع ، و ما حدث بالنسبة للرواية الجزائرية المعاصرة إنما هو - في حقيقته - ترجمة أمينة لهذه المقولة لذلك فإننا حين نقرأ الحصاد الروائي لهذه المرحلة - بالرغم من تنوع مذاهبه و اتجاهاته - نجد أن القضايا السياسية تحتل مكانة بارزة في محاور تلك الروايات ومضامينها ، و نجد هذه السمة في الروايات المكتوبة بالفرنسية و العربية على حد سواء ، كما نجدها في الروايات التي كتبت قبل الاستقلال أو بعده)1. و مما يؤكد غلبة الرؤية السياسية على الإنتاج الروائي الجزائري ، أننا نجد أن رواية مبكرة نسبيا مثل رواية " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة التي صدرت سنة 1970 م رغم قربها من الاتجاه الرومانسي فإنها تعد رواية سياسية تصور بعض ما حدث بعد انتهاء حرب التحرير . فعند قراءتنا لهذه الرواية نجد أن الكاتب حريص على أن يقدم تحليلا سياسيا للواقع ، قدر حرصه على تشكيل رواية أدبية يريد من خلالها التأكيد على (إن الفرد و لو وصل به الأمر إلى اقصى محنة في حياته فإنه مع ذلك تبقى له حرية اختيار موقفه)2.

1 - طه وادي : الرواية السياسية ، ص 185.

2 - عبد الحميد بن هدوقة : ريح الجنوب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع /ط4 ، الجزائر ، 1980 ، ص 201 .

(هذه العناية بتصوير القضايا السياسية نجدها أيضا عند الروائي مرزاق بقطاش في روايته " طيور في الظهيرة " الذي يهديها إلى والده فيقول >> الى المغفور له والدي - كان أميا - و لكنه ، علمني أن أقدس العربية <<)¹

و هذه الرواية رغم أنها العمل الأول لصاحبها فهي ليست بعيدة عن تصوير بعض القضايا السياسية .

كما أننا نجد العناية بالقضايا السياسية في الرواية عند بعض الكتاب الذين يكتبون بالفرنسية ومنهم رشيد بوجدره ، الذي بدأ مسيرته الروائية سنة 1969 م باللغة الفرنسية لكنه ابتداء من سنة 1982 م تقريبا بدأ يكتب الرواية بالعربية ، هذا الكاتب حين نقرأ بعض إنتاجه الروائي لا نجد أنه يقدم طرحا سياسيا لبعض قضايا الواقع الجزائري المعاصر فحسب وإنما يريد أن يحدث عن طريق الرواية ثورة فكرية شاملة بالنسبة لكل عناصر تراث الأمة.

و من هذه القضايا ما طرحته و ما تطرحه دائما الشخصيات الروائية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، (لأن الإنسان المتكلم في الرواية هو دائما صاحب إيديولوجيا بقدر أو بآخر و كلمته هي دائما قول إيديولوجي ... و أن فعل بطل الرواية و سلوكه ضروريان لكشف موقفه الإيديولوجي)².

¹ - طه وادي : الرواية السياسية ، ص 186.

² - المرجع نفسه ، ص 189.

الفصل الثاني

الدلالات السياسية في رواية الجازية والدرأويش

أ- الدلالات السياسية لشخصيات الراوية

ب - الدلالات السياسية للزمان والمكان الفنيين في

الرواية

أ- الدلالات السياسية لشخصيات الراوية

إن بدت " رواية الجازية و الدراويش " شبيهة - من حيث المضمون- بنصي " ربح الجنوب و نهاية الأمس" من خلال طرحها لإشكالية الأرض و الإقطاع و ما ينبثق عنها من صراع بين ما هو ممكن واقعيا و ما هو مستحيل واستشرافها - في السياق ذاته- للدور الذي يمكن أن تضطلع به المرأة في بناء جزائر الاستقلال و نحت ملامحها العصرية فإنها تختلف عنهما كثيرا من ناحية الشكل و الخطاب والصيغة السردية وتمثل تحولا نوعيا في تجربة الكاتب عبد الحميد بن هدوقة الأدبية من الواقعية التقليدية إلى كتابة باحثة يسكنها هاجس التجريب من خلال مغامرة الشكل التي تجسدت في التعامل مع التراث و توظيف عناصر أساسية منه، وقد تمثل هذا في الاشتغال على السيرة الهلالية و تجاوزها إلى الأساطير، للتعبير عن شواغل الكاتب التي أفرزتها جملة التحولات التي كانت تشهدها جزائر السبعينيات في مختلف بنياتها و الكشف عن مواقفه من تلك المتغيرات الجديدة في صياغة تزواج بين الواقع و الرمز إلى حد التداخل وإلى درجة يعسر معها تحديد تخوم كل من الحقيقة و الخيال التاريخي ممثلا في السيرة الهلالية وبالأساس شخصية الجازية و تجسيد الواقع في جزائر السبعينيات و إشكالية تحديثها .

1-حادثة الشكل الروائي:

(تتجلى حادثة رواية "الجازية و الدراويش " في بنية شكلها قبل موضوعات متنها ، إذ بدل أن يعمد الكاتب إلى تقسيم روايته إلى فصول تحمل أرقاما أو عناوين ، قسمها إلى أزمنة)¹.

¹ - بوشوشة بن جمعة : " الجازية و الدراويش، جزائر الاستقلال و أسئلة المصير، مجلة التبيين ، العددان 12

13- (نسخة واحدة)، 1998 تصدر عن جمعية الجاحظية ، الجزائر العاصمة، ص : 104.

(قبل ميلاد الزمن : قبل ميلاد الزمن كان الجبل و كانت العين و كان الصفاصاف ومع ميلاد الزمن : ولدت الجازية والدرويش السبعة والرعاة والشامبيط ، وهكذا بدأت القصة...)¹

والواقع أن الرواية تبدأ مع ميلاد الزمن الذي تزامن وميلاد الجازية الشخصية التاريخية والتراثية.

(وتتوزع الرواية على ثمانية أقسام أربعة منها تخص شخصية الطيب باعتباره صوت الراوي (المبئر) * ، وتتعلق الأربعة أقسام الأخرى بصوت الراوي الشاهد)². الذي لا يشارك في صنع الأحداث ، وإنما يتحدد تدخله بروايتها وهي أحداث تخص عائد، وقد نسبت الرواية الأقسام الأربعة الأولى للزمن الأول ونسبت الأقسام الأربعة الأخرى للزمن الثاني.

ولجأت إلى المداولة بين الزمنين (ويقوم تحديد الأقسام الثانية على وجود نوعين من الزمنية، زمنية الأحداث وزمنية القص (الحكي) . فالزمن الأول والثاني اللذان اتسمت بهما أقسام الرواية ، يتعلقان بالأحداث الأساسية في الرواية)³. ما جرى في القرية أثناء التطوع الطلابي . ثم ما حدث فيما بعد عندما وصل عائد المغترب إليها ، وهما فترتان متتاليتان في منطق الرواية و تتسلسل الأحداث التي جرت فيهما متتابعة و متطابقة مع سيولة الزمن المرجعي (الواقعي) (أما زمن القص "الحكي" فيعتمد على المداولة بين الزمن الذي يروي فيه الطيب، إحدى شخصيات الرواية الأساسية والزمن الذي يروي فيه الراوي الشاهد الذي يتتبع الوقائع التي عرفتها القرية و يتم ذلك عن طريق تقنية القطع ، حيث يقع

¹ - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش . المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983 . ص 5.

² - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 1994، ص:121.

³ - المرجع نفسه ص : 122.

* التبئير : هو تقليص حقل الرؤية عند الراوي وحصص معلوماته وسمي هذا الحصر بالتبئير لأن السرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتحصره.

إيقاف قص الراوي الأول من أجل الانتقال إلى قص الراوي الثاني ، ثم يتم الرجوع إلى الأول ... وهكذا ، وعملية القطع هذه هي التي تحدد توزيع الرواية في حيزها النصي)¹.

2- شخصية الجازية:

تطالعنا رواية الجازية و الدراويش من خلال العنوان على سحر الجازية وقوتها و سيطرتها على أحداث الرواية و شخصياتها ، فاسمها هو أول ما يستقبله القارئ للرواية في مقابل الدراويش، فهو (حامل لشحنة من المعاني مصدرها التراث الشعبي . لقد اندثرت السيرة الهلالية كشكل فني غير أن صورة الجازية ظلت قائمة في أذهان الناس عن طريق بقاياها التي تحولت إلى ألغاز و أمثال ومجموعة مواقف ، و الجازية في التصور الشعبي امرأة بديعة الجمال خارقة الذكاء حسنها لا يوصف و نفاذ بصيرتها لا يحد)² . و هي كذلك (رمز للحب ، البطولة ، الشجاعة و الشهامة العربية . و هي الأميرة التي كانت تتزعم قومها في الاستنفار إلى القتال و الدفاع عن الشرف القومي)³.

(أما الدراويش فهي تسمية أطلقت قديما على أعضاء الطرق الصوفية ، و أصبحت بعد ذلك تعني في الذهنية الشعبية ضعف العقل و الغياب عن الوجود في الحاضر ..)⁴

و يعني الربط بين اسمي الجازية و الدراويش . اقتران العابد بالمعبود فهو يحمل معنى طقوس التقديس إذ تعني الجازية الكمال المقدس في مختلف مظاهره بينما الدراويش ممارسي فعل التقديس و العبادة و من هنا (شخصية الجازية تقف في علاقة تضاد مع الدراويش لأن

1 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر 1994، ص:121.

2 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص : 119

3 - عبد الناصر مباركية : قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة (الملتقى الوطني الأول حول بن هدوقة) ، مديرية الثقافة لولاية لرج بوعريريج ، نوفمبر 1998 ، ص : 08

4 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص : 119

بينهما علاقة تتافر في القيم و المواقف . فإذا كانت الجازية رمزا للثورة و الوطنية فإن الدراويش رمز للتفكير الخرافي في هذا الوطن و دلالة على أزمة التفكير في الذهنية الجزائرية الحديثة)¹.

و تأثر الكاتب بالجازية الهلالية واضح في الرواية خاصة فيما يتعلق بالأوساط الخارجية و المميزات الفيزيولوجية الأنثوية التي لعبت دورا في بناء شخصية الجازية في الرواية حيث أضفت عليها مسحة جمالية رائعة .

لقد صورت الجازية و هي تحمل ملامح الجمال الأسطوري الخالد لا الجمال المادي المتغير الفاني ، فهي ذات أصل عريق و نسب نقي رفيع منه تستمد الشرف و المجد فهي (بنت أصل أبوها شهيد عظيم أمها سالحة ...)².

(ماتت أم الجازية قبل الوضع أبوها لم يعد من الحرب ، رفاقه قالوا قتل بألف بندقية !! لم يكن شخصا ، كان شعبا كلهم يعرفون متى استشهد ، لكنهم لا يعرفون قبره ، لم يدفن في الأرض ، دفن في حناجر الطيور!!)³.

انقضت طفولة الجازية دون أن يعرف أحد كيف ، حيث تولت تربيتها إحدى القرويات الفضليات عائشة بنت منصور (مناضلة كبيرة و مجاهدة ، كجداتها الصالحات ، يعرف نضالها وجهادها العدو و الصديق)⁴. و كان ظهورها فجأة في إحدى الاماسي عندما شاهد أهالي الدشرة فتاة عائدة من العين مع النساء ذات حسن لا مثيل له : (كم هي جميلة الجازية هي الجمال تجلى في أبداع مكوناته !! إن جمالها مخيف! ! إذا ابتسمت يهتز

1 - عبد الناصر مباركية : قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة ، ص : 08

2 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش ، ص : 73

3 - المرجع نفسه ، ص : 23،24

4 - المرجع نفسه: ص: 23،24

الوجدان إليها و إذا تكلمت تنفتح النفس كلية لاحتضان كل نذببات صوتها)¹. حتى أن صوتها يبدو كأنه انطلق (من وراء الكون غريبا رهيبا محيرا آتيا من كل جهة كأنه صوت من مصادر متعددة)² . و هكذا علق و تعلق بها الجميع و سعوا إلى نيل رضاها طمعا في الظفر بها فمثلت بذلك مدار تنافسهم و مثار صراعهم (زواجا محرما). و أن كل واحد منهم يلقي حقه عندما يظن أن الحياة استوت له ... (ثم يمر زمان لا شمس فيه ، يشبه الليل و ليس ليلا ، أعيش أزماته واحدة واحدة ، ثم أتزوج بعدها ، يموت كل أبنائي المولودين من زيجاتي الحرام ، أتزوج زوجا يشهده كل دراويش الدنيا)³ . و في الواقع فإن أحداث الرواية و وقائعها تؤكد إلى حد كبير صدق هذه النبوءة و ذلك من خلال مختلف العلاقات التي ربطت شخوص الرواية بالجازية و ما انتهت إليه من مصائر درامية في الأغلب و هي العلاقات التي أسهمت مجتمعة و متفاعلة في إغلاق الأبعاد الدلالية لشخصية الجازية و تكثيف ظلالها الرمزية خاصة إذا أدركنا أن تلك الشخوص تدور في فلك الجازية : يقدم كل منها رؤية خاصة لها و إن كان المقصد مشتركا عند جميعها و هو الاقتران بالجازية التي تجاوزت أصداء شهرتها تخوم الدشرة إلى المهجر . (فالطيب تقابله الجازية كتمثال ضخم ، يملأ الفضاء)⁴. وهي تقترن في النظرة بالحياة و تمثل بذلك اكتمال الوجود . إذ هي ليست قيمة ، هي شيء آخر ، هي مجموعة من القيم .

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص73

2 - المرجع نفسه: ص 76

3 - المرجع نفسه: ص 77

4 - المرجع نفسه: ص 77

و يتقدم الطيب لخطبتها بعد تردد و إلحاح من أبيه : (إن الزواج من الجازية شيء لا بد منه هذا الزواج مسؤولية نحونا و نحو الدشرة)¹ ، و تقبل الجازية به زوجا لكن مع إبدائها بعض المخاوف عليه (أقبل زوجا ابن عمي الأخضر ، لكن أخشى عليه من دسائس الآخرين . كلهم يروني لغاية لا تتلاقى مع الحب الذي أبحث عنه لدى الزوج ، هم تجار و سماسرة ، أكثر منهم خطابا) و هذا أثناء ردها على حبيبة التي جاءت لتخطبها لأخيها الطيب . كل الناس حالمون بها لكنهم يرهبونها ، إنها ابنة الشهيد الذي قتل بألف بندقية ، و بذلك كان الجميع ينسج عنها الحكايات ارضاء لأهوائه و رغباته ، فاننتقلت بسرعة تفوق التقدير من الألسنة إلى الخيال الرحب و أصبحت أسطورة بعد أن (أشيعت حولها ألف خرافة ، تفوق كل ما شاع من ظواهر حول الجازية الهلالية)² . لقد كانت غريبة الأطوار ، لا تستقر على حال ، عيونها تعد و تتوعد ، بسمتها ترتفع بالنفس الى بعيد من السدم لكنها كالنور قربها محرق)³ . فكانت لذلك مصدر رغبة و رهبة ، إقدام و إحجام ، صعوبة المنال و عسيرة الرضى جعلت الجميع يدورون في فلکها و يحلمون بها ، دون أن يظفر منها بطائل ، و هي تكشف عن مأساتها التي أطلعتها نبوءة العرافة عليها في قولها : (مأساتي أنني لن أتزوج زوجا حلالا في وقت منظور ... جاءت إلى البيت و أنا صغيرة امرأة غريبة الأطوار تقرأ اليد ، أنبأتني أن آكل عشبنة تنبت في جبالنا لا يعرفها أحد تبقيني صغيرة حتى اليوم الذي أتزوج فيه حلالا و أن أزواجي الأولين لن يكونوا شرعيين ...)⁴ . و قد انتهت علاقتها مع الطيب بدخوله إلى السجن بعد أن اتهم بقتل الطالب الأحمر الذي راقص الجازية في الحضرة ، و دنس بذلك الشرف في منظور العرف و العادة فكان الأخذ بالثأر محوا للعار . أما عائد الذي رجع من المهجر إلى الدشرة ليتزوج بالجازية بعد أن سمع عنها الكثير

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 74،75

2 - المرجع نفسه : ص 76

3 - المرجع نفسه : ص 25

4 - المرجع نفسه : ص 25

جعله يشبهها بالحلم " إنها الجازية الحلم الذي جاء به من آخر الدنيا " و هو الحلم الذي يشاركه فيه كل أهالي الدشرة فهي الحلم الذي يبيت كل ليلة في فراش كل راع و كل فلاح و كل درويش ! ... و لما كانت الأحلام لا تتحقق لكل الناس ، فقد كانت الجازية الحلم الذي استعصى على عائد تحقيقه ، إذ تعذر عليه حتى رؤيتها بعد أن توهم أن التي كان يلتقي بها في بيت العجوز عائشة بنت منصور هي الجازية ، غير أنها في حقيقة الأمر ما هي إلا واحدا من الرعاة تتكر في زي امرأة جميلة ، دفاعا منه على الجازية ، و من هنا فقد الأمل في الزواج منها ، فاختر حبيلة ابنة الأخضر و أخت الطيب زوجة له ، و هذا إنما هو دلالة على استحالة الاستيلاء على الجزائر مجددا من الخارج .

و ينزع تصور الدراويش للجازية ذات المنزع الأسطوري و الخرافي لعائد ، فهي في نظرهم الفتاة الأسطورية في الإباء ، فضلا عن كون وجهها غريب يتشكل بألف صورة ، و هذا ما جعل تعلقهم بها يرقى إلى مصاف القداسة إذ يدينون لها لأنها أخرجتهم من توقعهم و حولت مشاعرهم الدينية ذات المنزع الصوفي إلى حب الوطن و إسهام في بنائه ، و هذا من أجل إنقاذ الدشرة من الفساد الذي يمثله الشامبيط و من الفناء الذي يتهدد الأهالي في صورة تحولهم إلى القرية الجديدة ، و بالتالي فقد حولتهم من السلبية التي طبعت ممارستهم إلى ايجابية بناءة تسعى إلى تشكيل عالم امثل ، و هي كذلك في نظر الأهالي (ليست فتاة ، هي الحياة ، من دخلت داره فاض خيره و علا نجمه) فتمكنت من إثارة نخوتهم و حميتهم مستعينة بالدراويش فيتحولون هم كذلك من السلبية إلى الفاعلية من خلال قرارهم الدفاع عن أرضهم و تقديم الشكاوي إلى الحكومة حتى تتراجع عن قرار ترحيلهم من الدشرة إلى القرية الجديدة .

و من هنا قد تحول احتفال الحضرة الى حدث حاسم في حياة الدشرة و الأهالي و يتخذ أبعادا مأساوية و رهيبية تشكل نوعا من البعث الجديد فقد تحول الجو من (الواقع إلى اللواقع من خلال الرعود و البروق ، الزرنة و البنادير ، الدراويش و المناجيل ، الليل ، رقص الطالب حضور الجازية المفاجئ صيحات الدراويش و بكاؤهم! ... لحظات توتر

أحس الناس فيها أن الساعة فعلا توشك أن تحل (...)¹، (فتفتح في السماء عيون ... فجأة يتخلل دفقان المطر برد ضخم)² ، وذهب الناس إلى الجامع ليحتموا به و هرع الآخرون إلى بيوتهم القريبة ، اختلط الحابل بالنابل إنها الكارثة حلت بالقرية ... و هي الكارثة التي يعلها أهالي الدشرة بغضب أوليائها الصالحين " السبعة " عليهم لقبولهم الاهانة من غريب و سكوتهم عن تحديه و مراقبة الجازية (و لعق المناجل المحمرة في عقر حرم السبعة)³ وهذا ما عده الأهالي و الدراويش خرقا للمقدس من الشرف و تعديا على الحرمات قام به الطالب الأحمر المتطوع فمن حوله زرع في القرية بذور الأمل و تحدث عن المستقبل الزاهر الذي تنتظره الدشرة و أهاليها ، و لم يفصح يوما عن حبه للجازية ، فأتناء الحضرة و عندما احتدمت أجواء الرقص فيها لم يتردد في جر الجازية إلى وسط الحلقة و راقصها و أعطاها منجلا فلعقته ... و بعد أن حلت الكارثة بالدشرة و حولتها إلى دمار بحث الأهالي في الغد على الطالب الأحمر فلم يعثر عليه فلقد لقي مصرعه بسبب لحظة تجليه مع الجازية أمام الناس و قد اتهم الشامبيط الطيب بقتله . لأنه خطيبتها و دفاعا على شرف القبيلة. فالقي به في غياهب السجن ، غير أن (المرجع هو أن الجازية هي التي قتلت الأحمر ، لأنه تجاوز ما هو ممكن في الواقع الذي يتعامل معه . كان مستقبلا. تصرف بعجلة تفوق إمكانيات الواقع و تصوراته)⁴ ، و تكشف دلالاته المستقبلية عندما تفتح أوراقه التي تركها و يتم الاطلاع - خاصة - على فحوى التقرير الذي أرسله إلى الحكومة بعد الدراسة الموضوعية التي قام بها لمشروع السد و القرية الجديدة الذي يزعم الشامبيط انجازها ، فيتبين أن السد لا يصلح لتخزين المياه ، و أرض القرية معرضة للزلازل ، و هو ما جعل الحكومة تعدل على المشروع لتبقى الأهالي بالدشرة و هو إبقاء على الهوية و تكريس للانتماء .

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 88

2 - المرجع نفسه: ص 91،91

3 - المرجع نفسه: ص 92

4 - بوشوشة بن جمعة : الجازية و الدراويش ، جزائر الاستقلال و أسئلة المصير، مجلة التبيين : ص 110

إن اقتران وجود شخصيات الراوية بالجازية و خضوع مصائرها لها بالدوران في فلكها ، جعل منها الرمز الذي ينزع إلى الغموض حتى التعميم ، بل يتصف بالشفافية و الوضوح و هو ما يفصح عنه النص من خلال عديد العلامات الموثقة في مظانه فيتبين أن الجازية - الرمز - هي الجزائر المعاصرة الحديثة العهد بالاستقلال و الباحثة عن المسالك الصحيحة في حاضرها لبناء مستقبلها ، جزائر الغد الآخذة بأسباب التمدن و الرقي ، و هو ما يؤكد الكاتب ذاته في قوله : (ترمز الجازية إلى الجزائر ، أردت أن اذهب بأسطورة الجازية إلى بعد فني و سياسي من خلال السيرة الروائية ، أردت أن أعطيها قاعدة مادية وجدت بالفعل و هي الجازية الشخصية السياسية : رمز الجزائر القاصرة ، هذا الشعب الذي لا يستشار ، هذا الحكم غير الدستوري الذي يترك شعبا كاملا دوما في حالة قصور قانوني يتصرف في أمره لأنه ليس في مستوى مسؤوليته ، أردت أن أكذب كلام قارئة الكف . قولها : ليس صحيحا الشعب ليس قاصرا)¹ ، (و هو ما يبرز إعطاء الكاتب لشخصية الجازية التاريخية و التراثية دلالات جديدة يغلب عليها اللون السياسي ، و ذلك من خلال نقد أنظمة الحكم غير الدستورية التي تتالت على جزائر الاستقلال و تعرية خفاياها للكشف عن حقيقة ممارستها)².

1 - عبد الحميد بن هدوقة و أبو المعاطي أبو النجا : وجها لوجه . مجلة العربي : فيفري 1987 . العدد 399 . ص 135.

2 - بوشوشة بن جمعة : الجازية و الدراويش ، جزائر الاستقلال و أسئلة المصير ، مجلة التبیین . ص : 110

3- شخصية الطيب بن الأخضر بن الجبالي:

تعد شخصية الطيب من الشخصيات الفاعلة في رواية " الجازية و الدراويش " و نجد لها حضورا قويا في الرواية إذ يمثل الراوي للأحداث من ناحية عن طريق عملية الاسترجاع التي يقوم بها و هو في السجن و من ناحية أخرى هو شخصية متحركة كبقية الشخصيات الأخرى التي أسهمت إلى جانب الشخصية الرئيسية في الدفع بأحداث الرواية نحو الهدف المرسوم لها . و تظهر لنا شخصيته بأبعاده المختلفة من خلال اللغة الروائية المتجسدة في الحوار و السرد و الوصف ، و أول من نلاحظه على هذه الشخصية هو أنها شخصية متذبذبة مترددة تتسم بالحيرة و التردد و السلبية في بعض الأحيان ، فهو في العديد من المرات في أثناء صراعه النفسي ، و هو يسترجع ذكريات القرية في السجن تتبعث من لسانه كلمة لا " أفكر " التي تتكرر في العديد من المرات في الرواية والتي توحى بعجزه و قصوره عن تحقيق ما يصبو إليه فيجد ملاذه و مفره في الهروب من التفكير و محاولة نسيان الماضي المسيطر على تفكيره (أحاول أن لا أفكر ، اقتلع الذكريات من رأسي و أرمي بها على السرير المقابل)¹. لكن في المقابل نجده أحيانا أخرى يتخذ قراره الصارم و الشجاع بضرورة المقاومة و التحدي و هذا من خلال عبارة (لابد أن أقاوم)²، التي تتكرر أكثر من خمس مرات في الرواية و التي جسدت لنا إصراره على المقاومة و الصبر على ما يمكن أن يعترض سبيله و هو في الوقت الذي يقول فيه بأن المستقبل هنا هو النظر إلى الوراء و أن الأحلام و الآمال صارت أوساخا)³، و التي تجسد كلها نظرتة التشاؤمية إلى الماضي و الحاضر والمستقبل ، إذا أن فضاء السجن يمثل للطيب واقع الانغلاق في الزنزانة و الانكماش على الذات و هذا المكان يثير اشمئزاز الإنسان ، و هذا ما جعل الطيب

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 09

2 - المرجع نفسه: ص 11

3 - المرجع نفسه: ص 08

(يتأمل الجدران ، السقف ، القاعة ، ... الأحلام صارت أوساخا ... أتأمل الرسوم البرونوغرافية ، قلب يخترقه سهم ، قلب تعصره أصابع ...) ¹ هذا المكان المغلق جعل الطيب يفقد صلته و انتماؤه و أصبح لا يميز بينه وبين أي شيء آخر قد يعترضه سوء برغم الذي يحمله (أصبحت سجيناً لي رقم أقيم بحجرة ها رقم ... رقمي سبعة رقم لحجرة أيضا سبعة) ² . و الشيء الملاحظ أن الطيب في الوقت الذي كانت نظرتة للمستقبل نظرة قاصرة نجده في الوقت ذاته يحلم بهذا المستقبل و يتفائل به أذ نجده يقول مخاطباً نفسه : (لا بد أن تقاوم الحلم بالماضي ، حنين إلى الظلام ، الموت لا يعطي حياة ، الظلال ليست كلها بنفسجية ، الحلم الحقيقي مشروع تنجزه اليدان ذلك هو الحلم . الباقي كوابيس تتخذ أحيانا صورة الأحلام) ³.

فالطيب بذلك يغير من نظرتة التثاؤمية إلى المستقبل و يحاول النظر إليه بتفائل و طموح و عزم يجسد كل ذلك العمل لا الأحلام ، فالمستقبل تصنعه اليدان ليس إلا و هو يقر بأن الحلم بالماضي الذي كان مسيطراً عليه هو حنين إلى الظلام ، لذلك بقول (يجب أن اقتلع الذكريات من كل خلية في رأسي من كل كرية في دمي ، اقتلع أحلام الماضي أرمي بها على صخور الدشرة) ⁴ ، و يرى بأن كل تغيير جذري يستلزم تلغيم الماضي و إغراقه كلياً ، لأنه يؤمن بأن المستقبل لا يبنى قبل ذلك (و قبل الإغراق لن يتحقق شيئاً) ⁵.

إن الطيب الذي كان يحاول مرارا الهروب من التفكير في الماضي و الدشرة و أهلها نجده يتأمل و يمعن النظر و هو في السجن . فهو يتأمل الزنزانة و ينظر إلى جدرانها

¹ - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 08

² - المرجع نفسه: ص 07

³ - المرجع نفسه: ص 11

⁴ - المرجع نفسه: ص 12

⁵ - المرجع نفسه: ص 12

و سقفها و الرسوم التي نقشت عليها و تتبعث ذكريات الماضي في نفسه ، فهو بذلك لا يستطيع التخلص من سيطرة الماضي و لا من مقاومة التفكير و التأمل فيما يحيط به ، و بذلك فالطيب (يجسد روح التردد و الحيرة فهو متعلم يؤمن بالتقدم و يرفض سلبيات الماضي غير أنه لا يجد الجرأة على مواجهة الموروث من التقاليد ، يؤمن بضرورة التوفيق بين الماضي و ما يتطلبه المستقبل و يحمل مشروعا إصلاحيا لواقع القرية)¹ و قد ساهمت تحركات الطيب داخل غرفة السجن في رسم حالته النفسية المتأزمة و الهستيرية فهو يجلس تارة و يقوم تارة أخرى ، و يمسك بقضبان السجن بكلتا يديه . (أقوم أمسك بقضبان نافذة الباب الحديدية أذبها إليّ لا تتجذب أذعها لا تندفع)² ، ثم يهدأ (أحاول أن أتلهى بهز السرير القذر من تحتي يشكل اهتزازة صوتا لجلاد لا أعرفه)³ ثم يقوم من مكانه مجددا (أقوم من مكاني ... أمسك القضبان مجددا ، باب السجن كالقدر لا يزعه احد)⁴.

إنه يحاول التحرر من مكانه الموجود فيه حيناً و التحرر من سيطرة ماضيه حيناً آخر ، فالسجن المحبوس فيه سجنان : سجن بداخله ، و سجن محاط به فيه قضبان حديدية ، إنه بذلك سجين في الزمان و المكان .

إن السجن و القرية اتخذاً - لدى الطيب - دلالة واحدة فكلاهما يعني له القهر و الاستبداد و فقدان الحرية ، ذلك لأن حاكم السجن و الشامبيط عنده شخص واحد لا فرق بينهما (حاكم السجن في كل مكان و السجن واحد في كل مكان ! الفرق بين القرية والسجن ؟ الشامبيط هناك و الحارس هنا)⁵.

1 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص126

2 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص09

3 - المرجع نفسه : ص09

4 - المرجع نفسه : ص 14

5 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 09

و هكذا تتخذ دلالة المكان بعدا آخر فالقرية أضحت ذات بعد نفسي عند الطيب ، فهي مثل السجن ما دامت لا تحقق له حريته و آماله و راحة باله ، فالشامبيط يقف له و لكل أهل الدشرة بالمرصاد ، و يعيق كل ما يسعون لتحقيقه ، و من هنا اتخذت عبارة (لا بد أن تقاوم) دلالة عميقة في نفس الطيب الذي رأى فيها سلاحا لا بد منه في كلا السجنين (السجن ، القرية) حتى يتحرر و يبني مستقبله و مستقبل قريته .

إن الطيب يحيا حياة تعمها الفوضى و عدم الاستقرار ، فعالمه الداخلي ممتلئ بالتناقضات و الأحلام الطيبة ، في الوقت ذاته يحاول أن يخرج من سجن ماضيه الذي يحيط به من كل جانب ، ليحيا حياة مستقبلية جديدة و يحقق فيها مشروعه الإصلاحى لمصلحة سكان الدشرة ، لكن سلبيته و تردده و حيرته كل هذا يجعله يتراجع إلى الوراء خطوات بدل أن يتقدم ، و هذا ما عبر عنه الطالب الأحمر بقوله : (أنت تفكر في المستقبل و تمشي إلى الماضي)¹. وهذا ربما ما جعل الجازية تتخلى عنه و تجد في الطالب الأحمر طريق النجاة و الأمل لأنه شاب واع جمع بين الجرأة و الذكاء و الثقة بالنفس عكس الطيب الذي يفقد إلى الجرأة و الثقة بالنفس و هذا ما لاحظته أبوه أيضا عندما قال له : (أنت لم تعد جبليا إنى أراك تذبل شيئا فشيئا ما ينتظرك إن بقيت على هذا الحال هو السقوط ، أعرف علائم السقوط في الثمار و الرجال ، المدرسة التي كنت أظن أنها تقويك أضعفتك ، صرت كثير التردد ينبغى أن أجد لك رأيا)².

و نجد أن الطيب نفسه يعترف بهذه السلبية و يقر بأن الأحمر رجل فعلي ، (حدثها بحبي و حدثها بمشاريعه ، غلبت مشاريعه حبي)³، و كما يلاحظ اضطراب نفسه

1 - المرجع نفسه: ص 137

2 - المرجع نفسه : ص 22

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش ، : ص 18

و تشتت أفكاره وهو ما عبر عنه بقوله : (لم أكن مؤمنا بشيء تلك كانت مصيبتني لم أكن من أهل الماضي و لا من أهل المستقبل كنت الصفر الذي تلتقي فيه الأزمان)¹.

و هذا الشيء الذي جعل الطيب (يعيد موقفه مصححا إياه مؤكدا حب الجازية الذي يسكنه و إنصافا للأحمر الذي اعتبره درسا في الجرأة و المسؤولية)² ، و اقتنع بهدفه و اعتبره حيا في نفسه و نفوس الجماهير و أكد ذلك بقوله : (الأحمر لم تذهب حياته سدا ... قال أنا فكرة و الفكرة لا تموت لقد أصاب ، سوف يبقى حيا لدى كل من عرفه أو سمع أفكاره)³.

و قد كان لزيارة صافية للطيب في السجن و حديثها له عن المستقبل و ضرورة الاستمرار في المقاومة دور في بعث حلمه من جديد (صافية جعلتني زيارتها أعود إلى الغرفة كالحالم)⁴ فهي قد كانت سببا في انتشاله من هذا الضياع الذي كان يعاني منه و كانت انقلابا جذريا غير مجرى حياته فقد (تحولت من القنوط إلى اليأس إلى الرغبة في الحياة و النظر إلى المستقبل بتفاؤل)⁵، و هذا الشيء الذي جعله يقول (لا أدع الأحلام السوداء تعود إلى رأسي مرة ثانية)⁶ ، و اتخذت المقاومة عنده شكلا آخر أكثر عمقا و قوة (لابد أن أقاوم ، اتخذت هذه الكلمة بعدا عميقا في نفسي ، بعد زيارة صافية)⁷ ، و تخلص عن نظرتة السوداوية للمستقبل و أكد قائلا أن : (المستقبل لن يكون مظلمًا كما تخيلته)⁸ .

1 - المرجع نفسه: ص 137

2 - فهيمة الطويل : صورة المرأة في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، ص 234

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 189

4 - المرجع نفسه: 191

5 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص 124

6 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 198

7 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 191

8 - المرجع نفسه: ص 190

لقد أضحي لحياته أكثر من معنى و هدف و أخذ يطمح و يحلم من جديد أحلاما لا يخالطها خذلان و انكسار بل تقترن دائما بالمقاومة و الطموح . لقد أصبح قادرا على اتخاذ قراراته بحزم ، إن صافية أحدثت الانقلاب المفاجئ في حياته و أدخلت السرور إليه و صار الحلم و الأمل الجديد و الباعث الذي قوى لديه الشعور بالمقاومة و التفاؤل بالمستقبل ، فهو يريد أن ينام حتى تنتهي سنين السجن و من ثم يخوض تجربة جديدة بأفكار جديدة و تصورات جديدة، هدفها بناء الدشرة على أسس سليمة من أجل مواجهة التحديات و الصعوبات المستقبلية ، و هو هنا يمثل طموح الشباب للخروج بالجزائر إلى شاطئ الأمان و النظر إلى المستقبل بنظرة تفاؤل يسودها الأمل و الحياة و الفخر بحب الجزائر و الدفاع عنها من كل سوء قد يصيبها.

4- شخصية الطالب الأحمر:

نجد بن هدوقة في روايته " الجازية و الدراويش " قد انتقى بعض شخصياته الروائية من تيارات مختلفة ذات أطماع و نوايا خاصة ، و من بين هؤلاء نجد شخصية الطالب الأحمر الذي يعدّ من بين الشخصيات الرئيسية المسيطرة على الأحداث و المسهمة في تغييرها و تطور العمل الروائي نحو الوجهة المحددة .

إنه من بين الطامعين في خطبة الجازية ، و هو من دلالة اسمه يرمز للفكر الاشتراكي الثوري ، فهو يؤمن بأن الحل في العلم الذي يراه المفتاح الذي بواسطته يمكن للدشرة أن تخرج من مشاكلها فهو يحاول أن يطرح البديل الاشتراكي العلمي ، و بهذا المفهوم فهو يريد التغيير البناء عن طريق العلم لكن مشكلة الأحمر تكمن في تسرعه و جرأته الزائدة التي أدت به إلى الموت (القتل) و أيضا في عدم تفهمه للواقع الاجتماعي الذي تدور فيه الجازية ، و في رفضه للتمسك بالماضي و الثقافة الموروثة ، فهو لا يريد أن يقطع صلته

بالماضي و إنما يرفض سلبيات الماضي التي تعيق المجتمع في تطوره من خلال الحوار الذي دار بين كل من الأحمر و صافية عما يسمونه الخرافات (ترى كم ينبغي لنا من وقت لاقتلاع الخرافات من أذهان الناس ؟ أجابها الأحمر بسؤال غريب ، و ماذا تضعين في رؤوسهم بدل الخرافات ؟ ماذا أضع ؟ أضع الحقيقة ... أي حقيقة ؟ الحقيقة العلمية التي تربط الأشياء بأسبابها و غاياتها! هكذا الكلام نفسه خرافة ! الحقيقة العلمية ... الخرافة أيضا لها أسبابها و غاياتها)¹.

كنا نلاحظ موقفه من الزردة فالأحمر استحسن كل ذلك الاستحسان مبادرة الدشرة بإقامة الزردة (إنه يخالف ما عرفه الطلبة هم يعتقدون أن ذلك النوع من الاحتفالات يضاعف شيوع الخرافات و تأسيسها في أفكار السذج من الناس)².

و من هنا نرى أن الأحمر لا يريد أن تقتلع هذه الأفكار من رؤوس أهالي الدشرة بل يريد المرحلية في اقتلاعها (مرحلة بمرحلة) تماشيا مع المستوى الثقافي و الفكري لأهل الدشرة لأن للتغيير الجذري و القطعي نتائج غير مضمونة العواقب .

و قد أجاد الكاتب في تصوير شخصية الأحمر المتحررة و الثائرة ، و قد أسهمت لغته الروائية في الكشف عن هذه الشخصية و أبعادها ، فهذا الأخضر بن الجبائلي يقول عن جرأته الكبيرة . (جاء ليتزوج بالجازية ، ألا يخاف أحدا ...؟)³ . فهو يؤكد على جرأته و تحديده من خلال استخدامه صيغة النفي المطلق مع تكرارها و استعمال فعلين من حقل واحد (يخاف ، و يخشى) كما تبدوا هذه الجرأة جلية من خلال مراقبته للجازية و لعقه للمناجل أثناء الزردة ، فضرب بذلك شرف أهل الدشرة و قيمها عرض الحائط ، مما جعل أهلها ساخطون عليه جميعا و قد أثار في نفوسهم عواطف السخرية و الغضب و

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 65، 66

2 - المرجع نفسه: ص 69،70

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 96

الأنفة و الغيرة ، كما كان سببا في غضب الدشرة حسب الأهالي (التي قبلت الالهانة من غريب إذ ما معنى أن يرقص بتحد و يلحق المناجل بتحد ثم يراقص الجازية بتحد ، وقع لا مثل له كل ذلك في عقر حرم السبعة)¹، و قد ترددت كلمة (التحدي) أكثر من ثلاث مرات أثناء الرواية فهو تحدى الأهالي و الأعراف و القيم ،فهو إذا يملك التحدي و يملك الجرأة و(الجرأة هي التي تبني الرجال الفاعلين)².

كما تمتاز شخصية الأحمر زيادة على جرأته بذكائه الكبير ، و أحلامه الواسعة و طموحاته العالية و حدسه الحاد ، فهذا الطيب يقول عنه واصفا فهمه لحقيقة الدشرة و تعلقها بماضيها و قيمة كل من الجامع و الصفصاف و الجبل فيها (عيناه لا تستقران على مكان ، أفكاره تنتقل من فكرة إلى أخرى ، كأنه يبحث عن شيء جديد لم يسبقه إليه ، أحد ، حدسه ينفذ إلى المجهول بسرعة مذهلة ، في لحظة نفذ إلى أعماق حقيقة القرية ، العقم دهور طويلة عاشتها في صراع عقيم مع الطبيعة لم يخرجها صمودها من الضباب ، بل زادها كثافة قيمها و عوائدها ، طريقة حياتها لم تتغير احتفظت بزمن قديم لتتحيا فيه إلى الأبد)³

إن موقف الأحمر من الماضي في جانب منه قد يكون فيه نوع من التناقص أو الغموض فهو يرى بأن القرية تمثل العقم خاصة ثلاثة منها (الجبل ، الصفصاف ، الجامع) لكننا نجد أن صافية تعارضه في ذلك ، (قال الأحمر : هذه الدشرة يمثلها ثلاثة عقام : الجامع ، الجبل ، الصفصاف ، ردت عليه صافية ، و هي تتأمل علو الصفصاف المفرط : على العكس أنا أعجبتني هذه الدشرة و أعجبتني فيها خصوصا (بالخصوص) هؤلاء الثلاثة !!

1 - المرجع نفسه: ص 96

2 - المرجع نفسه: ص 14

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 64

إنها تمثل العلو الذي يرنو إليه كل حالم ، أجابها ساخرا ، ماذا يمثل غير العقم ؟ إن العلو لا تحتاجه الحياة الأرضية)¹.

و في نفس هذا السياق تقول عنه حجيبة (أنه أراد أن يعرف عن الدشرة و ضواحيها في أيام قلائل ما لم يعرفه أهلها فيها طول حياتهم)². أنه بأحلامه الحمراء الواسعة استطاع أن يلم بخفايا القرية و تركيبة أهلها ، لكنه أخطأ من حيث ظن أنه أصاب حتى أراد أن يقطع الدشرة وأهلها عن جذورها المتأصلة و قيمها المورثة و يزرع فيها أفكاره البعيدة عن واقع الدشرة (فالطالب الأحمر صاحب الحلم أراد أن يبذر أحلاما حمراء في رؤوس تبنت الماضي)³.

و الحقيقة أن تمسك القرويون بماضيهم لا يلغي رجعتهم و تخلفهم ، بل يمثل أصالتهم و تمسكهم بماضيهم (فلإنسان جنور تربطه بالأرض كالشجرة ، هل يمكن للشجرة أن تحيا بلا جنور)⁴.

و من هنا فإن محاولة إبعاد أهل الدشرة عن ماضيهم مشروع فاشل ، و هذا ما حاول الطيب إفهامه للأحمر حينما قال له أن : (الدشرة ليست بيوتا بالنسبة للسكان إنما تمثل ماضيهم و ماضي أجدادهم إنها كل شيء عندهم ، رد عليه الأحمر بسخرية و إشفاق ، هل هم في حاجة إلى الأرض و المستقبل بنفس الضرورة و نفس المرارة ، الإنسان لا يحيا بعيد لم يوجد ، يحيا أولا بالبعد الموجود ، الماضي هو السند الذي تستريح الدشرة إليه عندما يتبعها الوقوف من أجل العيش)⁵.

1 - المرجع نفسه: ص 63

2 - المرجع نفسه: ص 97

3 - المرجع نفسه: ص 23

4 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 15

5 - المرجع نفسه: ص 134

كما أن خطأ الأحمر كامن في مغامرته و جرأته اللتان أدتا به إلى لقاء حتفه بسقوطه في الهاوية فمات دون تحقيق هدفه ، حلمه الذي جاء يسعى من أجله ، ويقول عنه أحد الدراويش أثناء حديثه مع عائد واصفا استعجاله و جرأته التي أبدتها في الزردة مما أسخط عليه أهل الدشرة و أغضب الأولياء (السبعة) (لو لم يستعجل مستقبله ، لصار درويشا ممتازا خسر نفسه و خسره الدراويش !! ماذا نستطيع أن نفعل له نحن لم يحالفنا و لم يستشرنا ، الناس تعذبوا و سجنوا ، حلموا السنين الطويلة ليحصلوا على نظرة واحدة من الجازية و لم يستطيعوا !! و هو في لحظة أراد أن يولدها أمام الناس إلا أنه كان غالطا ... لعق منجلا و رقص رقصة ظن أنه وصل!! الدروشة لا تحصل في ليلة والجازية لا تتال بضمها لا ، لا كان غالطا أقول لك ... أغضب الإنس و الجن حتى السماء أغضبها ...)¹ لقد مضى الأحمر مسترسلا في الحديث عن مشاريعه دون أن يدرس بعمق و رزانة الطريق المؤدي إليها و دون أن يشرك الآخرين فيها و تلك هي غلطته ، لقد تحدثت للجازية (عن حلمه الأحمر أكثر مما حدثها عن الطريق إليه ... هو كان مغامرا و تلك غلطته ، من غلطات المغامرين يفكرون في الحلم أكثر من التفكير إليه ..)² .

(فالأحمر رغم أسلوبه العلمي ، و العملي إلا أنه كان مندفعاً أمام طاقته الهائلة حتى انفصل عن قومه و فقد اللغة المشتركة معهم و بذلك نجده قد انفصل عن واقع القرية و عجز عن الحوار مع أهلها و من خلال الشخصيات الأخرى يتبين لنا أنها البديل الذي يصنع الجزائر لأن هذه الشخصيات كانت تدرك الفرق الذي يفصل بين الأحمر و أهل القرية و كانت تسعى إلى إيجاد اللغة المشتركة التي تجمعهم و تدرك أن المستقبل لا بد أن يكون ثمرة لحوار حقيقي بين الماضي و الحاضر)³ .

1 - المرجع نفسه: ص171

2 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص127

3 - عبد الحميد بن هدوقة و أبو المعاطي أبو النجا : وجها لوجه . مجلة العربي ، العدد 399 . ص 135

لقد أراد المؤلف من خلال رسمه لشخصية الأحمر على هذا النحو أن يشير إلى إيجابيات و سلبيات و مساوئ حاملي المشروع الاشتراكي ويشير في الأخير الى فشله (المشروع) والذي ينتهي بموت الأحمر وهذا دليل على عدم صلاحيته لأنه لم يتزوج بالجازية (الجزائر) فالجزائر تبنى بسواعد جميع أبنائها إنها لا تستطيع العيش ببعدها و يبعدها عن ماضيها المشرق المتأصل الذي تستمد منه أمجادها و حصانتها .

كما أن الرواية لا تخلو من شخصيات أخرى أراد المؤلف توظيفها من أجل أداء رسالته أداء كاملا و تتمثل في الشامبيط فهو رجل مخضرم عمل في عهدين (الاستعمار و الاستقلال) فشخصيته تجسد الزمرة الاجتماعية المحدودة التي تكونت لديها مصالح بعد الاستقلال و بالتالي تريد المحافظة عليها، و من هنا فهي تقاوم كل مشروع من شأنه الإصلاح و إعادة البناء ، فالشامبيط في الرواية يمثل الاستعمار الجديد (أمريكا) و الاشتراكية ، فقد أراد تزويج ابنه العائد من أمريكا بالجازية فهو يرى فيه مصلحة لها وللدشرة ، لكنها ترفض ذلك مطلقا ، وهذه دلالة أخرى على رفض الجزائر لأي شكل من أشكال الاستعمار الجديد .

وهناك شخصية أخرى تتمثل في عايد بن السايح بولمحين وهو شاب مثقف هاجر لطلب العلم ، والده صديق حميم للأخضر بن الجبائلي ، عاد هذا الشاب من المهجر (فرنسا)، وقد نصحه أبوه بالعودة إلى الوطن والى أهله واصله وبالتالي أراد تزويجه الجازية فهو عز له و فخر ، لكن الجازية رفضت هذا الزواج أيضا وهذه دلالة سياسية واضحة عن رفض الجزائر لعودة الاستعمار الفرنسي ولو بطرق أخرى عن طريق المهاجرين الذين تربوا في فرنسا وتعلموا ثقافتها

و العمل الفني الذي تبناه يرسم قضايا الشعب ، قضايا الثورة التي ترتبط بالمستقبل... و بقدر هموم المستقبل كان العمل الإبداعي مستوعبا هذه الهموم...¹.

¹ - أحمد دوغان : شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر . المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1989 ، ص 126

ب - الدلالات السياسية للزمان والمكان الفنيين في الرواية

إن ابرز و أهم وظيفة تؤديها البيئة المكانية و الفترة الزمنية هي تجلية أحداث الرواية و توضيح الظروف المصاحبة لها فتساهم بذلك في جعل القارئ يفهم الأحداث فهما على غاية من الدقة و الطرافة و من أقرب سبيل ، لذلك لا يعقل تصور هذه الأحداث و الوقائع إلا ضمن إطارين متلازمين أحدهما مكاني و الآخر زماني لذلك فان خلو العمل الأدبي الروائي من هذين العنصرين يعد نقصا و قصورا و إهمالا لأهم الركائز التي تقوم عليها الرواية مما قد يعيب عليها ذلك.

و تظهر ميزة الاختلاف بين الزمان و المكان في طريقة إدراكهما حيث أن الزمان يرتبط بالإدراك النفسي المعنوي فهو يتعلق بالأحداث و كيفية تفاعلها و تداخلها فيما بينها ، أما المكان فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالإدراك (النفسي) الحسي باعتباره مادة ثابتة و التي تشغل مساحة معينة ، فهو ما جعل فضاء المكان أسهل منالا و مكتفيا بالملاحظة عكس الزمان الذي يقف عقبة أمام النص فيثير بذلك حيرته و تردده بسبب غيابه أو عدم وضوحه بصورة ملموسة و بالرغم من هذه الازدواجية و التباين على مستوى الوظيفة لعنصري الزمان و المكان إلا أنهما بمثابة وجهين لقطعة نقدية واحدة- إن صح التعبير - يتعذر الفصل بينهما بحيث لا تتحدد قيمة احدهما في حد ذاته إلا من خلال ارتباطه بالعنصر الآخر.

فمن خلال تتبعنا لأحداث الرواية لاحظنا أن (الجازية كقيمة مطلقة في ارتباطها بالحيز المكاني (الأرض) و بالحيز الزماني (الإنسان) تمثل الوطن ، أما الدراويش كقيمة فردية تعني نوعا معينا من الارتباط الروحي غير المحدد بالوطن ، يقوم هؤلاء الدراويش بإلغاء العقل و إحلال الشعور محله ، و تعني السبعة التاريخي و الثقافي و الروح الجماعية لهذا الارتباط بينما الرعاة يمثلون قيمة اجتماعية)¹ .

¹ - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ص ، 121،120 (بتصرف)

1-الإطار المكاني :

انطلاقاً من معالجتنا للحيز المكاني للرواية نحاول تتبع مسار الشخصيات في تنقلاتها من مكان إلى آخر، و ذلك لنبين العلاقة الموجودة بين الأمكنة نفسها و علاقتها ببقية عناصر الرواية الأخرى .

إن المكان في رواية " الجازية و الدراويش " (ليس مجرد إطار للأحداث و الشخصيات ، و إنما هو عنصر حي و فاعل في الأحداث ، و في هذه الشخصيات- بوصفه- أداة و وسيلة للإدراك و تحقيق المعرفة ، و التعرف على العالم الخارجي للرواية ، فهو حدث و جزء من الشخصية المحورية كباقي الشخصيات)¹.

و يمكن القول بأن الكاتب قد اعتمد في تجسيد المكان في الرواية على منهجية" يوري لوتمان" و الذي تطرق إليها في كتابه (بناء النص الفني) حيث يرى (بأن الإنسان يُخضع العلاقات الإنسانية و النظم لإحداثيات المكان و يلجأ إلى اللغة لإضفاء إحداثيات مكانية على المنظومات الذهنية)².

من هذا المنطلق فقد ميز عبد الحميد بن هدوقة مجموعة من العلاقات المكانية التي انبنت على شكل سلسلة من الثنائيات ، فما هو مدلول هذه الأمكنة ؟ و كيف تعاملت معها الشخصيات الروائية التي كانت تتردد بينها :

¹ - مصطفى النواتي : دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية (اللص و الكلاب ، الطريق ، الشحاذ)، الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص 85

² - دسيزا قاسم بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، دار التنوير للطباعة و النشر، الطبعة الأولى ، لبنان

، 1985 ، ص 102

السجن / الدشرة :

و هما من الأمكنة التي تلعب دورا أساسيا من خلال الحضور المباشر داخل الرواية و تشكل هذه الثنائية الحيز المكاني الذي يمتد عبر عدة فصول في الرواية و هو فضاء السجن / الدشرة الذي يتم الإفصاح عنه انطلاقا من الفقرات الأولى و ذلك منذ إلقاء القبض على الطيب بن الأخضر بن الجبالي بتهمة قتل الطالب الأحمر ، و الزج به في السجن : (أدار السجن مفتاحا غليظا في القفل ، دفع الباب أمامي و قال متهكما : حظك سعيد في هذه الحجرة شاعر ...)¹.

فالسجن حيز مكاني (يتميز بالانغلاق و تحديد حرية الحركة ، و خضوع المقيمين فيه للقانون الصارم ، وانغلاقه هو مصدر المرارة و الألم ، الذي تتضج به مشاعر الشخصيات التي توجد داخله)².

و بذلك يحاصر الطيب الشعور بالوحدة و القهر ، فلا يجد أمامه منفذا للتخفيف من حدة هذا الشعور إلا عن طريق محاولة الرجوع بذاكرته إلى الوراء من اجل استرجاع التفاصيل و الأسباب التي أدت إلى دخوله السجن انطلاقا من لحظة قدوم الطلبة المتطوعين إلى الدشرة ، و هذا الحدث في حد ذاته يشكل بنية دلالية صغرى داخل البنية الكبرى في النص ، و يمكن القول بأن السجن يتحدد بارتباطه بماضي الذكريات المرة التي يحاول الطيب نسيانها و عدم التفكير فيها ، لكن تأثير الصدمة عليه كان أقوى من أي أمر آخر (تقوم الذكريات في نفسي تضع أمامي القرية و الصفصاف ، العين و الفتيان ، جامع السبعة و الدراويش ، الطالب صاحب اللحم الأحمر و الجازية ! آه من الجازية !)³

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 07

2 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص 122-123

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش : ص 09.

و السجن يمثل حيزا مغلقا لكونه يعبر عن واقع الانحباس و التوقع الذاتي الذي يحاصر الفرد كشخص أولا قبل أن يحاصر سلوكه و هو في الوقت نفسه تعبير عن واقع الغياب أي الشعور بالعزلة و البرودة و الروتين قياسا إلى الواقع الاجتماعي العام للدشرة و هذا ما جعل الطيب يتفحص السجن بكل دقة و إمعان حيث يقول : (أتأمل الجدران ، السقف ، القاعة ، الأحلام ، و الآمال صارت أوساخا ؟...)

أحاول أن أتلهى بهز السرير القذر من تحتي يشكل اهتزازة الجاف صوتا لجلاد لا اعرفه¹.

و يبدو جليا أن فضاء السجن جعل الطيب يختفي بصورة كلية على مستوى فضاء الدشرة و ذلك على امتداد الرواية لأن حضوره في السجن كان مستمرا حتى نهاية الرواية فأصبح بذلك مألوفا بالنسبة إليه و قد نتج عن ذلك أن كل علاقة تربطه بالقرية (الدشرة) هي مجرد ذكريات و أحلام فقط و هي الفكرة التي تؤكد أن الجازية أصبحت بالنسبة له مثل الحلم (و الأحلام لا يمكن أن تهبط إلى الأرض)² ، إلا أن زيارة صافية الطالبة المتطوعة له في السجن قبل نهاية الرواية و حديثها له عن المستقبل المشرق و عدم الاستسلام للأمر الواقع قد بعث في نفسه فسحة أمل جديدة كانت دافعا كافيا لتغير تصور الطيب للحياة و رغبته في انتهاء فترة السجن بأسرع ما يمكن للدخول في غمار حياة جديدة تحمل معاني الحرية و الكرامة و السلام.

و هكذا يتضح لنا أن الكاتب لم يوظف السجن كإطار مكاني لحدث من الأحداث ، إنما جعله كشخصية من أهم شخصيات الرواية إذ لا نلمس أي حدث معين يجري داخله بل كل الأحداث تقع خارجه .

1 - المرجع نفسه: ص 08.

2 - المرجع نفسه: ص 183.

و بعد هذه الإشارة إلى فضاء السجن ننتقل إلى الحديث عن فضاء القرية أو الدشرة بوصفها مكانا مفتوحا يستطيع الإنسان من خلاله تحقيق حريته و رغباته المنشودة فيشعر بالاطمئنان و الهدوء لقربه و وجوده بين الأهل و الأحباب إلا أنه و رغم الانفتاح الذي يميز القرية عن السجن نجده كما يبدو انفتاحا جزئيا لضيق فضائه ، هذا الضيق نجده ممثلا في مجموعة من العادات و التقاليد و المعتقدات ، تحدد سلوك الفرد و تقبض من حريته المطلقة ، كما تتمثل أيضا في هذا الرباط المقدس الذي يربط القرية بماضيها و رفضها لأي تغيير أو تجديد هو في نظرها مس و عبث بمقدساتها ، فضلا على أن قبولها للعناصر و الأفكار الوافدة من الخارج كان محددا و ضيقا لذلك يمكن لنا القول أن السجن و القرية يحملان في دلالاتهما معنى واحدا نلاحظ هذا التماثل من خلال العبارات التي وردت في الرواية :

(ما الفرق بين القرية و السجن ؟ الشامبيط هناك و الحارس هنا)¹.

و قوله أيضا (الدشرة هي جنتنا و هي سجننا)².

و خلاصة القول أن هذه الثنائية ((القرية / السجن)) تطرح قضية واحدة هي قضية غياب الحرية ، فرمزية السجن و القرية هنا جاءت كنعويض للوجود فإذا كانت حرية الإنسان هي جوهر وجوده و القيمة الأساسية لحياته ، فإن السجن و القرية في هذه الرواية ، هما استيلا ب لهذه الحرية و بالتالي فهما استيلا ب للوجود و إهدار للحياة .

قمة الجبل / الهاوية :

إنهما الحافتان الواقعتان على مشارف القرية إذ تعبر قمة الجبل عن الحيز المرتفع بينما تعبر الهاوية عن الحيز المنخفض و يشتركان في كونهما رمزين للغموض

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 09.

2 - المرجع نفسه: ص 117.

و الإبهام ، فالقمة توحى بمفهوم الماضي بكل معاني العجرفة و الصلابة ، عجرفة العادات و صلابة التقاليد (القمة لا تتبت سوى الضباب)¹ ، أما الهاوية فتمثل الموت الذي يترصد كل من لا ترغب فيه القرية و يخرج عن عرفها و تقاليدها و هي أيضا تمثل حافة المخاطر و عليه فإن (قمة الجبل و الهاوية تمثلان قدر القرية الذي عرفته في ماضيها و يتحكم في ماضيها و يتحكم في حاضرها و مستقبلها)².

القرية (الدشرة) / المدينة :

تحدثت الرواية عن القرية فكانت حاضرة بأبعدها المختلفة الطبيعية و التاريخية المتميزة، كما تحدثت أيضا عن المدينة فكان حضورها ضعيفا حيث لم يرد ذكر المدينة في الرواية إلا عرضا في المحاورات الساخرة بين القرويين كالقصة التي نسجها الأمام حول الطالبة صافية التي جاءت من المدينة في حملة تطوع مع ستة شبان ، الشيء الذي دفع بالأمام إلى الحط من رجل المدينة و إعلاء شأن القروي يقول : (إذا كان قوام المرأة في المدينة ستة رجال فامرأتان قوامهما اثنا عشر رجلا و بهذا الحساب رجل واحد من الدشرة يساوي أربعة و عشرين رجلا من المدينة لأن رجل الدشرة يستطيع الزواج بأربعة نساء)³.

كذلك حديث الطيب مع أخته حجيبة عن المدينة يقول : (لا بد أن تفهمي يا أختي الساذجة أن أبونا عندما يتحدث عن المدينة يقول : نهبط ، يعني ، يتضح أن دشرتنا جد عالية ، أبي صادق في تعبيره ، المشكلة ليست في الهبوط إلى المدينة إنما الصعود بالمدينة إلى الدشرة هو المشكلة)⁴ .

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 23.

2 - عبد الحميد بو رايبو : منطق السرد ، ص 124.

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 81.

4 - المرجع نفسه: ص 17.

و في موضع آخر من الرواية يتحول الفضاء المرتفع إلى فضاء سلبي غير نافع، هذا ما يؤكد قول الطيب : (قلت للجازية ذات يوم نغرس وردا في قمة الجبل ... لم أفكر أن القمة لا تنبت سوى الضباب ، الحياة ليست هناك الجمود لا يخصب ما يسقط من أشعة عليه لا يغذي شيء يسجل حياة الجبل ليس إلا ، و حياة الجبل ما قيمتها تطول أو تقصر)¹ .

بينما يتحول فضاء المدينة المنخفض إلى مكان موجب و نافع لما تبعثه المدينة في النفس من انشراح و نعومة الحياة ، (البذر يصلح في الأراضي السفلية حيث الخصب و الملايين البشرية المتصارعة على اللقمة)².

يظهر التضاد بين فضاء القرية و المدينة في الزمن فبناء المدينة أحدث من بناء القرية الذي يوحي كل ما فيه بالقدم فهو جزء من الماضي بينما بناء المدينة جزء من الحاضر .

جامع السبعة / دار الأخضر بن الحبابي :

تعد ساحة جامع السبعة المكان العام الذي يدخل ضمنه جميع أفراد القرية الذي تستوي فيه أعضاء الجماعة الشعبية فيطرحون بذلك قضاياهم و يتبادلون الآراء حولها و يحددون موقفا معينا منها ، و قد ارتبطت ساحة الجامع مع السبعة في الرواية بالعدد سبعة من أضرحة الأولياء (يقال عن الجامع أنه مدفون به سبعة أولياء)³.

و يرتبط العدد سبعة بزمن مطلق (لهم من يخلفهم أبد الدهر كلما مات سبعة جاء من بعدهم سبعة)⁴.

1 - المرجع نفسه: ص 23.

2 - المرجع نفسه: : ص 23.

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 57

4 - المرجع نفسه: ص 57

إن جامع السبعة هو المكان الجامع بين الحاضر و الماضي ، الحاضر الذي يعيشه سكان القرية و الماضي الذي تمثله أرواح الأولياء و (تظهر تباعية الحاضر للماضي من خلال ذبح الكباش و تأدية الطقوس من أجل إرضاء السلف كما تفسر العاصفة المفاجئة التي عرفتها القرية بكونها عقابا على ما وقع في ساحة الجامع من مخالفات للمقدسات و هو أيضا مكان لاشباع رغبات الناس الروحية و طموحاتهم العفوية)¹ .

و يظهر هذا الأخير عند إقامة الزردات إذ تزول فيه كل الحواجز و تندمج فيه الجماعة مع بعضها البعض يقول الطيب : (عندما تقام الزردة بدون مناسبة تقليدية تدعو إلى إقامتها ، تشكل ظاهرة اجتماعية ممتازة رغم ما يشوبها من خرافات و أساطير ، فيها تزول الحواجز و يرتفع الحجاب و غالبا ما تكون مناسبة للتعارف بين فتيان القرية و فتياتها المحجبات)² .

في المقابل نجد أن دار الأخضر بن الجبالي توحى بدلالات مخالفة لدلالات ساحة جامع السبعة لأنه يمثل مكانا خاصا لعلاقات اجتماعية محدودة ، هي العلاقات الأسرية و الصداقة و فيها يتم الكشف عن مختلف الآراء الفردية من القضايا المطروحة المتصلة بالحياة اليومية (فالأخضر يمثل التاريخ النضالي الذي يرمز لصلابة الموقف إذ تمثل علاقته بالبندقية صورة حية و واضحة لهذه الصلابة و كذلك الدكة الحجرية التي يجلس عليها)³ .

الأخضر بن الجبالي رمز للطبقة الفلاحية ذات الرموز التقليدية الاصلية فقد كان ذا صدر رحب يتقبل كل الأفكار و المناقشات التي كان يطرحها أبناؤه ، و حتى الطلبة المتطوعين و يمكن القول بأن الأخضر بن الجبالي هو رمز لقيمة أصيلة في مجتمع متغير

1 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص 125-126.

2 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 70.

3 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص 125،126.

فضاء الدشرة / قرية المستقبل :

إن مشروع بناء القرية الجديدة يمثل فضاء قرية المستقبل الذي أضحي حلما يطمح إليه جيل الحاضر من الشباب حين أدركوا إنما للتحضر و المدنية من ايجابيات تذلل ((تسهل)) أُنقال المستقبل فنجد أن قرية المستقبل التي يصورها لنا الكاتب تأخذ وجهين ، يتمثل الأول في مشروع الطيب الإصلاحى الذي يحاول من خلاله غربة الثقافة الموروثة من العناصر السلبية و بناء ثقافة جديدة تجمع بين ما هو ايجابى و موروث ، أما الثانى فيتمثل في مشروع الأحمر الذي حاول بناء علاقات جديدة متطورة و حديثة أساسها العلم وحده ، و هنا تصبح تصورات قرية المستقبل مناقضة لوضع الدشرة كما هي عليه بارتباطها الجذري بماضيها الثقافى غير أن اختفاء الأحمر من مسرح الأحداث بعد مقتله الغامض و الذى تسبب في دخول الطيب إلى السجن أدى إلى استحالة إمكانية بناء قرية جديدة خاصة بعد الاطلاع فيما بعد على التقارير التي تركها الأحمر قبل موته و التي تؤكد عدم صلاحية الأرض لبناء القرية الجديدة و بالتالى فشل مشروع السد و إلغائه .

لقد لعب المكان دورا بارزا و هاما في بناء الرواية و تنمية الأحداث فلم يعرض علينا هنا الروائى بن هدوقة قرية المستقبل أو المدينة كمجرد إطار مكاني للإقامة فيه فقط ، و إنما جعلها كمقدمة للإعلان عن التحول الجذري و التمدن الحضري ، كما أن الجازية مثلت العنصر المشترك الذي ربط هذه الأمكنة ، (فهي حاضرة فيها جميعا إذ يشكل حضورها في العالم الداخلى لشخصيات الرواية معلما مشتركا بينهم جميعا ، و هو الأمر الذي يؤكد أن الجازية تمثل فكرة الوطن في تجلياتها من خلال وعي مختلف الفئات الاجتماعية و ممثلى التيارات السياسية)¹.

و ما نستخلصه في الأخير حول الإطار المكاني في رواية الجازية و الدراويش أن عبد الحميد بن هدوقة ذكر مجموعة من التفصيلات المكانية الواقعية و التي استمدتها أساسا من

¹ - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص 129

مرحلته الفنية الواقعية و قد استغلها استغلالا وظيفيا في بناء الرواية كما يقيم ثنائية الأمكنة المتقابلة ضديا فيجعل الشخصية المحورية (الجازية) بين فكي هذه الثنائيات ، و هذا حتى يبرز لنا ظاهرة الصراع الدائر بين شخصيات الرواية .

2-الإطار الزمني :

(يمثل الزمن عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القص ، فإذا كان الأدب يعتبر فنا زمنيا - إذا صنفنا الفنون إلى زمنية ومكانية - فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية اندماجا و اتصافا بالزمن)¹.

يكتسب عنصر الزمن في رواية الجازية و الدراويش أهمية خاصة تتجلى في كونه صلب موضوع الرواية ، و هو الصراع الدائر بين الماضي و الحاضر و المستقبل ، فالماضي يحكي أحداثا انقضت إلا أنه بالرغم من هذا فهو يمثل الحاضر الروائي ، أما الحاضر فهو الموضوع أو الفكرة المعالجة ، و المستقبل هو إدانة السلبيات على أمل تغييرها مستقبلا .

لقد اشتملت الرواية على نوعين من الأزمنة ، أزمنة خارجية و نعني بها الأزمنة التي تتعلق بالبداية و النهاية ، و بالتالي فهي موضوعية ترتبط بالأزمنة التاريخية و ما تتضمنه من مختلف القضايا الاجتماعية ، و قياسا للأحداث التي تحدث الآن فهي تروى بصيغة الحاضر ، و من هذه الأزمنة الخارجية نميز زمن الكتابة هذا الزمن الذي يشير إلى فترة كتابة الرواية ، و هو بالنسبة للرواية الجازية و الدراويش قد حدد بـ 1983 ، و تحدد فكرة كتابتها مع بداية التراجع أو التفكير في التراجع عن المنهج الاشتراكي كما يشير إلى بداية التخلي على مشروع القرى الزراعية ، كما نميز أيضا زمن القراءة و هو الفترة التي تستغرقها قراءة اثر أدبي و هي تختلف تبعا لتعاقب زمن القراءة عبر فترات التاريخ .

أما الأزمنة الداخلية فهي الأزمنة الحقيقية التي تمثل شريان الرواية التي ترتبط بالشخصية المحورية و إذا كانت الأزمنة الخارجية هي أزمنة الحاضر فان الأزمنة الداخلية هي أزمنة الماضي المستحضرة بواسطة الذاكرة و هي أزمنة المستقبل المعيشة في الحلم

¹ - دسيزا قاسم : بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، ص 104.

بنوعيه حلم النوم و حلم اليقظة، و قد لاحظنا أنه يوجد في هذا النص الروائي على الأقل مستويان زمنيان هما : زمن القصة و زمن الأحداث .

أ - زمن القصة :نقصد به انتظام الأحداث أو المادة المحكية ضمن أبعاد زمنية متعددة و متداخلة عبر تحولات السرد و أوضاع الشخصيات مع الأزمنة السابقة أو مع الأزمنة اللاحقة كما نلاحظ أن أحداث الزمن مفككة و مبعثرة لأن الحكاية تسير وفق خطين متوازيين يكاد كل خط يقوم بذاته . (روى الكاتب أحداث قصته مستعينا في ذلك بضميري المتكلم - الذي جسده بوضوح في إحدى شخصيات الرواية و المتمثلة في شخصية الطبيب عن طريق الحوار الداخلي - فصيغة المتكلم تعبر عن الاقتراب النسبي من الأحداث و اعتماد الأسلوب المباشر في المخاطبة و الإيهام بتطابق زمني القص و القصة . بينما تعبر الصيغة الثانية (الغائب) عن وجود بعد يفصل بين زمن القص و زمن وقوع الأحداث و وجود مسافة بين الراوي و الواقع الذي يحكي عنها)¹ و هنا يستعمل أسلوب السرد غير المباشر في الخطاب .

(فعملية القص تتخذ موقعين مختلفين، موقع يشغله الراوي الشاهد الذي يشارك في القصة باعتباره شخصية رئيسية من شخصياتها ، وموقع يتخذه الراوي الشاهد الذي ينقل إلينا وقائع حدثت ، ولا يشترك في صنعها و هذه الظاهرة تمنح الرواية بعدين ، بعدا ذاتيا و بعدا موضوعيا)².

هذا و قد جاء تقسيم النص الروائي بالتساوي بين الصيغتين (المتكلم و الغائب) بحيث يتطابق زمن الفصل الأول مع زمن الفصل الثاني و زمن الفصل الثالث مع فصل الزمن الرابع ... و هكذا إلى نهاية الرواية . و انتقال أحداث الرواية من زمن إلى آخر ، يعكس انتقالا مكانيا و ليس زمنيا ، فتروي ما تجري في السجن و في القرية في نفس الوقت .

1 - عبد الحميد بورايو : منطق السرد ، ص 132.

2 - المرجع نفسه : ص 132.

ب - زمن الأحداث : و هذا الزمن يفصل بين عدة أنواع من الأزمنة أهمها :

ب-1- الزمن المطلق : هو الزمن الذي يدخل ضمن إطاره ثلاثة أزمنة متتابعة وهي : الماضي، الحاضر، المستقبل في الوقت نفسه ، (الجازية ! أتدري أي شيء هي الجازية بالنسبة للدشرة ؟ هي اللحم الذي يبيت كل ليلة في فراش كل راع و كل درويش ! فهي العروق الماضية ، و هي الثمار التي ستولد! و هي حمامة حائمة فرق رأس الجبل من يستطيع قبضها)¹ ، (الطيب طيبه السجن ، النفس تميل أحيانا عندما تهب عليها بعض النسومات العلية ، كأغصان الصفصاف ، لكن الجذع يبقى ثابتا ... و أنت سألتني يا عم و أنا أجيبك ، الملح ما يدود!)².

و عليه فإن الصيغ الزمنية التي استخدمها الكاتب من أفعال و ما وظفه من عبارات دقيقة ساقها في هذا الإطار ، توحى بعملية التواصل و الاستمرارية الزمنية ، إذ أنها لا تتوقف عند نقطة معينة في المسار الزمني و إنما تتعدى ذلك لتعبر في النهاية عن جميع الأزمنة في الوقت نفسه

ب-2- الزمن الماضي : ويرتبط هذا الزمن بفترة مجيء الطلبة المتطوعين إلى الدشرة ، فأحداث هذه الفترة ساهمت بقدر وافر و كبير في نسج حبكة القصة و يأتي ذكرها عن طريق الاستحضار (استعادة الذاكرة) يحاول من خلالها الطيب سرد أحداث سابقة وقعت في الدشرة، و السبب الذي من أجله دخل السجن ، كما أن عملية استحضار الذاكرة تؤديها شخصيات أخرى في الرواية يستدرجهم عايد بطريقة غير مباشرة قصد معرفة حقيقة ما حدث قبل قدومه إلى الدشرة .

ج-الزمن الحاضر : و هو الزمن الذي واكب سجن الطيب و عودة عايد إلى الدشرة ، و هما الشخصيتان اللتان تمثلان صوتي القص التي تحدثت بهما الرواية .

1 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 172 .

2 - المرجع نفسه: ص 220.

د- الزمن المستقبل : و يمثل زمن التوقعات و التنبؤات لما يمكن أن يقع أو يكون ، وهو زمن الاستباق أي لذلك ضمنه الكاتب بصيغ متعددة و إشارات تفيد التحذير و التهديد و التنبؤ لمظاهر طبيعية و أخرى اجتماعية يعتقد أنها سوف تحدث أو تكون في المستقبل القريب ، و يظهر ذلك جليا من خلال حديث احد الدراويش مع عايد حينما يقول : (إن الدشرة مقبلة على أيام سوداء ليس فيها ما يرغب في البقاء لمن ليس مضطرا)¹.

و في الأخير فان الهدف من توظيف الزمن في الرواية كان لغاية واضحة ، و ذلك للدلالة على الواقع السياسي ، لأنه كان من الذين - بن هدوقة - يرفضون النظام القائم على السيطرة و الاستغلال، فراح يعبر عن الواقع السياسي المتردي في الجزائر خلال تلك الفترة (فترة السبعينيات

3- الأبعاد الاجتماعية و الثقافية لرواية الجازية والدراويش :

إن تعامل الكاتب مع شخصية الجازية دون غيرها من عناصر السيرة الهلالية و توظيفها في الرواية بإضفاء أبعاد دلالية عصرية عليها يتواصل بجزائر الاستقلال التي رمزت إليها ، سمح له بأن يلامس بشيء من الجرأة و العنف مظاهر بارزة من الواقع السياسي ، الاجتماعي و الثقافي .

فقد تمثلت الدلالة السياسية في تعمد الكاتب نقد بعض انحرافات قيادة الثورة زمن الاستقلال عن المبادئ الأصلية التي كانت تبشر بها زمن التحرير و نزوعها الأصولي الانتهازي ، و قد تم الاستقلال بالاستفادة منه إلى أقصى حد و تغليب المصلحة الذاتية على المصالح العليا للوطن . فضلا عن التنافس و الصراع على مراكز السلطة و مناصب النفوذ و هو ما يعنيه الكاتب في قوله : (فحيثما توجد ثورة توجد ثورات و أطماع و تنافس)².

¹ - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 177،178

² - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 183.

ثم إن القيادة التي تحكم جزائر الاستقلال تواصل ممارسة ذات أشكال التعسف و القمع الذي كان يعمد إليها المستعمر فتمثل بذلك نوع من الامتداد له و يكون بذلك الاستقلال صوريا اذ هو استعمار من أبناء البلد (استعمار جديد) ، لا من الأجانب ف (الأبرياء الشعراء يسجنون)¹.

(والحكومة تسلب حريات الناس و تصادها بحجة تحقيق الأمن و المحافظة عليه)² ، فتتحول بذلك الحرية التي اعتقد هؤلاء الناس استردادها مع تحقيق الاستقلال إلى وهم ، فتكون خيبة الأمل التي يعبر عنها الكاتب من خلال تصويره الحرية رفضا لا انصياعا و قهرا ، و هو ما يعلله بقوله : (عندما يريد أن يكون الإنسان نزيها ليس هناك مكان أفضل من السجن)³ ، و في ذلك إفصاح عن موقف إدانة السلطة الحاكمة و ما تقوم به من ممارسات تناقض المبادئ الثورية التي كانت تناضل في سبيل تحقيقها و الإعلان في الوقت ذاته عن موقف يحمل نظرة تشاؤمية لجزائر المستقبل ، بعد أن تتالت عنها القيادات و تعاقبت عنها التجارب الفاشلة فتقاوم الوضع و تعقد على كافة الأصعدة .

أما على الصعيد الاجتماعي فقد تواصلت هيمنة مظاهر التخلف و التفاوت الطبقي التي أخذت ملامحها تتضح بين قلة انتفعت بزمن الاستقلال فأثرت على حساب تفاقم بؤس الأغلبية الذي خيب هذا الاستقلال آمالها ، و هو ما يكشفه الطيب السجين في قوله أثناء محاكمته بتهمة قتل الطالب الأحمر : (نعم سيدي الرئيس لدي ما أقول ...، أقول كل شيء ، للشارع الطويل ، حيث المتسولون و العاطلون ، و الثوار و المجرمون و الكفر ، الفجر ... ليس لك أنت ، أنت محكمة ، أنت شخصية اعتبارية ، مهمتك الإدانة ، أقول ما أقول للذين لا يستكفون من رمي قاذوراتهم في الأرض الجميلة ، تحت الشرفات أغبياء ...

1 - المرجع نفسه: ص 08.

2 - بن شوشة بن جمعة :مجلة التبين ، ص 114.

3 - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدرايش: ص 130.

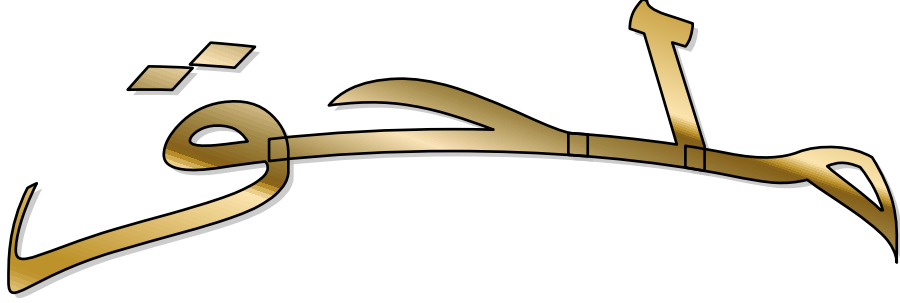
أقول لهم : إن هاجر عندما عادت إلى إسماعيل لم تجده ، وجدت في مكانه سيارة فخمة بأربعة أبواب يركبها رئيس لشركة متعددة الرؤوس كأفعى الأساطير)¹.

أما الدلالة الفكرية فتتجلى - و هي في علاقة جدلية مع الداليتين السياسية والاجتماعية- في نقد الكاتب لقمع السلطة حرية الفكر و مصادرة الكلمة و ممارسة التعسف و القهر ضد المثقفين ، و هي الممارسات التي يدينها الكاتب في الرواية من خلال شخصية الشاعر السجين الذي خالف عادة الشعراء في محاباة السلطة و التزلف لها فمثل ذلك الشذوذ عن القاعدة و كان جزاؤه الاعتقال و التعذيب (اغضب الذين هم في حاجة الى الأشتغال بنعم اكتسبوها و الأعين نائمة أو ربما أراد أن يلفت الأنظار إليه ليس إلا ...)² و يتوازي نقد الكاتب لممارسات السلطة القمعية ضد المثقفين ، مع نقده للبعض منهم الذين تخلوا عن المبادئ الأصيلة و الالتزام بالدفاع عن شواغل مجتمعهم ليعضدوا السلطة و يدافعوا على أشكال انحرافها ، و هذا ما يدينه الكاتب في أسلوب ساخر (فمن غير المعقول أن يسجن شعراؤنا ، لا يقولون إلا الكلمة الحلوة التي تسر...)³ .

¹ - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 120

² - المرجع نفسه: ص 120

³ - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش: ص 120



1

عبد الحميد بن هدوقة

1- حياته و مؤلفاته

2- مكانته روائيا

3- ملخص رواية " الجازية والدرائش "

1- حياته و مؤلفاته :

ولد الكاتب عبد الحميد بن هدوقة في 09 جانفي 1925م بقرية الحمراء قرب المنصورة ولاية برج بوعرييج في الشرق الجزائري (و هي قرية تدخل ضمن المنطقة التاريخية المسماة بالقبائل الصغرى و التي اشتهر سكانها الجبليون المنحدرون من أصول عربية و بربرية منذ القدم بتقاليدهم العريقة في حب الوطن و الحرية)¹ و قد نشأ عبد الحميد بن هدوقة في أسرة فقيرة اشتهرت في المنطقة بتبجيلها للعلم و العلماء فقد كان أبوه مدرسا في علوم اللغة و الفقه مما سهل عليه (عبد الحميد بن هدوقة) حفظ القرآن و الحديث النبوي الشريف و قد كان (مولعا منذ صباه بقراءة الأساطير و السير الشعبية كألف ليلة و ليلة و عنتره و سيف بن ذي يزن ، و الزير سالم و سيرة بني هلال)² ...

دخل إحدى المدارس للتعليم باللغة الفرنسية و بعدها انتقل إلى مدينة قسنطينة ليواصل تعليمه بجامع الكتانية حيث عايش عن كثب نشاط جمعية العلماء المسلمين و الحركة الوطنية ، و في سنة 1950 م التحق بجامع الزيتونة بتونس و قضى هناك أربع سنوات في التحصيل العلمي بفرع الآداب . كما تابع في نفس الوقت دراسته في معهد الفن الدرامي (التمثيل) بتونس .

و قد شارك عبد الحميد بن هدوقة في حركة التحرير الوطنية منذ نعومة أظافره و لم تتوقف السلطات الاستعمارية عن مطاردته بسبب اشتباهها في أمر مشاركته في العمل الثوري الذي انطلق يوم 1 نوفمبر 1954م فسافر إلى فرنسا في نهاية سنة "1955 م" حيث استقر هناك ، و التحق بمدرسة تقنية في مرسيليا حيث تخرج بدبلوم في تحويل المواد

¹ ل. ستينانوف : عبد الحميد بن هدوقة - الكاتب الكلاسيكي الحي - ترجمة عبد العزيز بوباكير ، مجلة التبين

(تصدر عن الجاحظية)، العدد 8 ، سنة 1984 ، الجزائر ، ص 42

² - عبد العزيز بو بايكر : بن هدوقة - معالم على درب الإبداع - دراسات حول عبد الحميد بن هدوقة من جمع و تقديم

الجيلالي خلاص (الملتقى الوطني الأول حول أدب بن هدوقة) ، عمل مشترك بين وزارة الثقافة و الاتصال و مديرية

الثقافة لولاية لرج بوعرييج ، مطبعة دحلب ، الجزائر ، 1977 ص 09

البلاستيكية و قد جرب مختلف ضروب الحرمان و المعاناة و غير عدة مرات عمله إلى أن أصابه مرض أفعده الفراش في إحدى العيادات الفرنسية ، و بعد شفائه فاز هناك في إحدى مسابقات تكوين مخرجين إذاعيين للعمل في الإذاعة الجزائرية (و قد شرع في هذه الفترة في تجريب مواهبه الإبداعية فكتب عدة مسرحيات إذاعية بالدارجة ، كما كان شغوفا بمطالعة آداب القرن التاسع عشر خاصة الأدب الفرنسي و الأدب الروسي الذي أعجب به أيما إعجاب)¹ (وفي سنة 1958م أعلنت السلطات الاستعمارية أن قرية الحمراء منطقة محرمة و قامت بترحيل سكانها (قرية الحمراء هي القرية التي ولد بها بن هدوقة) و في نفس السنة تحترق المكتبة العائلية لبن هدوقة و بالتالي ضاعت عدة مخطوطات و كتب قيمة و نادرة من بينها رسائل مخطوطة و جهها ملوك الطوائف الأندلسية إلى بعض حكام الجزائر لطلب النجدة في حروبهم التناحرية)² كانت تحتفظ بها عائلة ابن هدوقة.

و يرحل بن هدوقة في نفس السنة إلى تونس و يكرس جهده كلياً للعمل في الصحافة و التآليف فكان يكتب نصوصاً لبرامج إذاعية و مقالات لصحف جبهة التحرير الوطني التي كانت تدخل إلى الجزائر بطرق سرية .

و نشرت قصصه الأولى في الجرائد و المجلات التي كانت تصدر آنذاك ، و في سنة 1959 م صدر الكتاب الأول لبن هدوقة و هو عبارة عن مجموعة من المقالات بعنوان "بين الأمس و اليوم " و في نفس 1960م صدرت في بيروت مجموعته القصصية الأولى تحت عنوان "ظلال جزائرية " و في سنة 1962م و بعد الاستقلال الجزائر صدرت المجموعة القصصية الثانية لبن هدوقة تحت عنوان " الأشعة السبعة " و في نفس السنة عاد بن هدوقة إلى أرض الوطن مكرساً حياته لإحياء الثقافة الوطنية ، و قد كتب العديد من المسرحيات

1 - ل. ستينانوف : عبد الحميد بن هدوقة - الكاتب الكلاسيكي الحي ، ص 42

2 - دراسات حول عبد الحميد بن هدوقة من جمع و تقديم الجيلالي خلاص ، ص 10

لصالح الإذاعة و التلفزيون كما نشر عدة قصص و أشعار في مجلات و جرائد جزائرية و مشرقية .

كما عيّن في تلك الفترة مديرا للبرامج الفنية ، ثم مستشارا ثقافيا في الإدارة العامة للإذاعة و التلفزيون ، ثم انقطع عن العمل لأسباب صحية كما أنه انقطع عن متابعة دراسة الحقوق بجامعة الجزائر .

و في سنة 1967م نشر ديوانا للشعر الحر بعنوان " الأرواح الشاعرة " كما أن عدد المسرحيات التي كتبها للإذاعة و التلفزيون في الفترة ما بين 1957م و 1974م قد فاقت المائتي مسرحية .

((و باستثناء المسرحيات الإذاعية التي كتبها بالدارجة فكل مؤلفات بن هدوقة كانت بالعربية الفصحى بلغة بسيطة و في متناول القارئ)¹.

و في سنة 1971 م صدرت الرواية الأولى لعبد الحميد بن هدوقة و هي رواية " ريح الجنوب " و التي تركت أثرا أدبيا عميقا حيث جلبت له شهرة كبيرة ، لأنها طرحت مسألتنا الأرض و المرأة بعد قرارات مارس 1964 م .

ففي الفترة الممتدة من 1964 م إلى 1969 م تم في الجزائر تأميم واسع للرأسمال الأجنبي وانتقلت إلى الدولة ملكية المناجم و شركات التأمين و كذا القسم الأكبر من البنوك و الصناعة كما احتكرت الدولة التجارة الخارجية ، و في فيفري 1971م تم تأميم المحروقات و في نوفمبر من نفس السنة سنت السلطات قانون التسيير الاشتراكي للمؤسسات ، الذي وسع حقوق العمال و الموظفين ، و اتخذت في نفس الفترة إجراءات جديّة للقضاء على البطالة و تحسين وضع فئات الشعب المحرومة .

¹ - ل. ستينانوف : عبد الحميد بن هدوقة - الكاتب الكلاسيكي الحي - ص 43

و بعد المدينة أحدثت تغييرات جذرية في الريف ، الذي كان تقطنه الأغلبية الساحقة من سكان الجزائر ، ففي سنة 1970 م أعد ميثاق الثورة الزراعية التي كانت تهدف إلى تحديد ملكية الأراضي الكبيرة ، و منحت الأرض للفلاحين بدون ملكية ، و خلقت شبكة متفرعة من التعاونيات من أجل رفع إنتاجية العمل ، و في نوفمبر 1971 م تمت المصادقة على قانون الثورة الزراعية الذي أعيد بموجبه توزيع الأراضي و أقيمت قرى حديثة أطلق عليها " القرى الاشتراكية " .

و قد أحدثت هذه التغييرات الإجتماعية و الإقتصادية صراعا حادا بين الملاك الكبار للأراضي و بين الحكومة خاصة فيما يتعلق بالثورة الزراعية التي رفضها الملاك الكبار للأراضي و البرجوازيون و حاولوا جاهدين نفس هذه الإصلاحات الزراعية . و في مثل هذه الظروف ظهرت رواية " ربح الجنوب"¹ و التي تعكس بصدق صراع الطبقات أو الصراع الطبقي في الريف الجزائري غداة إجراء الإصلاح الزراعي ، و قد وفق بن هدوقة في رسم صور حية و مقنعة لأطراف هذا الصراع

و قد رحب النقاد الجزائريون برواية " ربح الجنوب " و اعتبروا ظهورها حدثا ثقافيا يستجيب للحاجة الملحة لأدب واقعي مكافح .

كما لقيت رواية " ربح الجنوب " صدى واسعا خارج الوطن ، (ففي المقالة التي نشرتها المجلة الفرنسية " إفريقيا الأدبية و الفنية " حيث يرى صاحب المقالة أن ابن هدوقة حين يصور عالم القرية الجزائرية المجهول ينجح في تجنب الابتذال التافه للتقاليد القديمة و المتبعة في الأدب الثوري الكاذب على حد سواء .

و تؤكد المقالة أن الكاتب لا يقدم حولا جاهزة إنما يطرح مسائل و مسائل حقيقية .

¹ - عبد الحميد بن هدوقة : ربح الجنوب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الطبعة الرابعة ، الجزائر 1980

و قد أعجب صاحب المقالة إعجابا شديدا بلغة الرواية ، و اعتبرها لغة بسيطة و شاعرية تقترب في الغالب من لغة الحديث اليومي (...)¹ و قد صدرت في الجزائر خمس طبعات لرواية " ريح الجنوب " و في سنة 1972 م صدرت مجموعة قصصية أخرى لبن هدوقة تحت عنوان " الكاتب و قصص أخرى "

و في سنة 1975 م قام "مرسال بوا" بترجمة رواية " ريح الجنوب " إلى الفرنسية و هذا بالتعاون مع المؤلف ، كما ترجمت إلى عدة لغات عالمية منها : الروسية و الألمانية و الهولندية و التشيكوسلوفاكية و البولونية .

كما أن المخرج سليم رياض قام بتحويل هذه الرواية إلى فيلم سينمائي و قد لقي روجا كبيرا لدى المشاهدين.

و في نفس السنة 1975 م صدرت الرواية الثانية لعبد الحميد بن هدوقة و هي رواية " نهاية الأمس " (و تجري أحداث هذه الرواية في قرية نائية مرمية على هوامش البلدية حيث يختار " البشير " المجاز بتونس للتدريس في هذه القرية و حين يصل إليها يتعرف على المأساة عن قرب على الجهل و الفقر و انعدام وجود الماء بالرغم المخططات الإنمائية التي تنام في مكاتب دار البلدية بحجج واهية التي كان يرأسها " ابن الصخري " الإقطاعي المعروف في القرية يدخل المعلم عالم هذه القرية و يحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه ، فيسج المدرسة أولا لفرض نوع من الاحترام عليها و يتم كل ذلك على حساب نفقته الخاصة ، و يحاول أن يجد عملا داخل المدرسة للعجوز " ربيحة " رغم احتجاج أهل القرية على ذلك بحجة أن السيدة أم حركي ، كما أن المعلم حاول الحصول على الماء للمدرسة داخل جو من المؤامرات ، لكن بفضل صداقاته في الأكاديمية و الوزارة ينجح في هذا المشروع ، لكن رئيس البلدية يحاول إعاقة هذا المشروع لأن تنفيذه يعني بكل بساطة إفلاسه ، فيقوم برفقة بعض من أصدقائه بتفجير مسجد القرية و يلصق التهمة بالمعلم "

1 - ل. ستينانوف : عبد الحميد بن هدوقة - الكاتب الكلاسيكي الحي -، ص44

البشير " لكونه لا يصلي و يتهمه بأنه كافر و ملحد و بالتالي له مصلحة في تخريب المسجد حسب رئيس البلدية ، لكن تحريات الأمن الأولية تثبت براءة المعلم)¹.

و رغم أن هذه الرواية قد كتبت بشكل روائي جيد و طرحت مشاكل اجتماعية حادة إلا أنها لم تلق نفس النجاح الذي عرفته روايته الأولى " ربح الجنوب " و يرجع النقاد سبب ذلك إلى صدور الكثير من الروايات و المؤلفات في نفس الفترة و التي خصصت أيضا لمعالجة مشاكل القرية و قد طبعت في طبعتين و ترجمت إلى عدة لغات منها الفرنسية و الهولندية و الصربية و البولونية .

بعد روايتي "ربح الجنوب " و " نهاية الأمس " اشتهر بن هدوقة على انه كاتب قروي ، غير أن روايته الثالثة " بان الصبح " و التي نشرت سنة 1980 م أدهشت الرأي العام ، و القراء بتناولها لألف مشكلة و مشكلة لعاصمة البلاد .

فأحداث هذه الرواية تجري في الجزائر العاصمة في ربيع 1976 م أثناء النقاشات الحادة حول مشروع الميثاق الوطني (الوثيقة الهامة للجزائر و التي حددت النهج الاشتراكي كمنهج للتطور و أرست أسس الدستور الوطني).

لقد كتبت هذه الرواية بأسلوب وصفي تقليدي و تجري أحداثها حسب التدرج (التسلسل) الكرونولوجي و تنمو فيها الشحنة الدرامية تدريجيا إلى أن تصل إلى القمة ... و حين يصور الكاتب حياة أسرة الشيخ "علاوة" يلج بالقارئ إلى عمق المجتمع الجزائري المعاصر الذي كان يمر بمرحلة انتقالية و مضطربة ، و يبرز الكفاح الاجتماعي الحاد الذي قسم المجتمع إلى قسمين ، قسم يدعو إلى التمسك بالتعاليم الدينية ، و قسم يدعو إلى الديمقراطية...

و في سنة 1983 م قام بن هدوقة بترجمة مجموعة من القصص لأدباء عالميين ضمن مجموعة قصصية أطلق عليها " قصص من الأدب العالمي "

¹ - عبد الحميد بن هدوقة : نهاية الأمس ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الطبعة الاولى ، الجزائر 1985

و في العام 1983 م صدرت الرواية الرابعة لعبد الحميد بن هدوقة وهي رواية " الجازية و الدراويش" و هي عمل فني غير عادي يجمع بين سمات الرواية السياسية المعاصرة و الأسطورة الشعبية...

و بعد هذا العمل الجريء ترجم سنة 1985 م مسرحية " قصة في ايركوتسك " ثم ألف قصة للأطفال تحت عنوان " النسر و العقاب " سنة 1985 م ، كما ترجم في نفس السنة دراسة فرنسية تحت عنوان " دفاع عن الفدائيين " و قد سلمت هذه الدراسة إلى منظمة التحرير الفلسطينية .

و بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة و العشرين لعيدي الاستقلال و الشباب سنة 1987م تحصل على الجائزة التقديرية الأولى في فن الرواية . و في مارس 1991 م صدرت الرواية الخامسة و الأخيرة لبن هدوقة و هي رواية " غدا يوم جديد "

و في سنة 1990م انتخب بن هدوقة أمينا عاما مساعدا لاتحاد الكتاب الجزائريين كما عين رئيسا للمجلس الوطني للثقافة .

و في نوفمبر سنة 1990 م أصدر المؤلف كتاب " أمثال جزائرية " و قد أهدي حقوق هذا الكتاب لجمعية رعاية الطفولة المتشردة .

و في مارس 1992 م يعين نائب لرئيس المجلس الاستشاري الوطني و في جويلية 1992م يستقيل من المجلس الاستشاري الوطني

و في 21 أكتوبر 1996م توفي عبد الحميد بن هدوقة عن عمر يناهز 71 سنة تاركا وراءه رصيذا ثريا سواء على مستوى الروايات أو القصص ...

2- مكانته روائيا :

يحتل عبد الحميد بن هدوقة مكانة هامة بين روائي الجزائر و العرب ، فرؤيته هي التي أكسبته تلك المكانة ، فهي رؤية صادقة و أصلية ، فقد وصل إلى نضج مكنه من التفتح على العالم و استلهام التراث في آن واحد .

و هذا التفاعل هو الذي سمح له من فرض وجوده في عالم الرواية .

يقول الكاتب " حاولت فيما كتبته على تواضعه ، أن أعالج نقاط التآزم الرئيسية في الواقع الجزائري بصفة تدخل أكبر قدر من المستقبل في الحاضر و تبتعد عن المضامين الجاهزة و الأشكال النابعة من مراكز خارجية ...

... فالثقافة العربية التي عاش العالم على كرمها الروحي ما يقرب من ألف سنة لا تستحق هذا الواقع الذي وضعها فيه تخلفنا المادي و السياسي .

إن هذه الاهتمامات هي التي جعلتني في كل أعالي الأدبية أعمد إلى معالجة الواقع المتآزم و الجوانب المظلمة في حياتنا الاجتماعية مبتعدا بقدر الإمكان عن الاغتراب بما حققناه من إيجابيات ¹

و في روايته هناك آثار لتيارات متعددة ، لا تغيب بصماتها في تقارب واضح ، حتى أنه ليصعب التسليم بسيادة تيار بعينه عن باقي التيارات .

فهو يؤمن بإمكانيات تعدد الاتجاهات في الرواية الواحدة . (و ظاهرة تعدد التيارات لا تخص المؤلف وحده ، بل هي ظاهرة واضحة في الأدب الجزائري سواء المكتوب بالعربية منه أم الفرنسية ، بل و الأدب العربي عامة ، بل و تشمل أدب العالم الثالث كله)²

1 - فهيمة الطويل : صورة المرأة في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة النيل الماجستير (1986/1985)، إشراف

الدكتور : محمد ناصر ، معهد اللغة و الأدب العربي ، جامعة الجزائر ، الجزائر ص 25،24

2 - عايدة أديب بامية : تطور الأدب القصصي الجزائري (1967/1925) ، (ب- ط) ، ص ص 83-84.

و يرجع هذا إلى أسباب منها تميز البنية الاجتماعية ، و كذلك الثقافة أو الحضارة أو الذهنية أو المنطق أو الفكر أو الفلسفة ، و حتى التأثر بالتيارات الغربية .

3- ملخص الرواية¹ :

إن رواية " الجازية و الدراويش " تقع في مائتين واثنين وعشرين صفحة، وهي رواية لم يقمها ابن هدوقة على أساس العناوين، وإنما على أساس الزمن وتحديداً: (الزمن الأول/الزمن الثاني)، وهكذا راحت الرواية تتداول بين هذين الزمنين، وكأنما أراد التداخل بينهما، بحيث لا يكسر أحدهما الآخر، فهما في حالة حضور فعلي ومستمر.

الزمن الأول : يروى على لسان المتكلم ، السجين ، الذي يعود بذاكرته إلى الأحداث الماضية التي قادتته إلى السجن ، و هو يستشعر نداء داخليا قويا من أجل المقاومة ، و إلى الوالد الذي أراد تزويجه بالجازية لئلا يتزوجها ابن الشامبيط ، و إلى الطالب الأحمر المتطوع الذي مات في سبيلها ، و اتهامه هو بالقتل و إلى مبادلته إياها بالحب من الصغر ، و رفضها المدينة والمدينة الغربية ، و تفضيل بناء قرية جديدة ، تتجسد فيها رسالة الأجداد الشهداء إلى مشروع الشامبيط الذي رفضه السكان ، إلى تذبذبه هو ، و إصرار أخته حجيبة على فكرة القرية الجديدة ، غير قرية الشامبيط ، و إلى حب الجازية للأحمر ، لجرأته ، و إلى عدم خوف ابن الشامبيط من الجازية رغم رفضها لخطوبته .

الزمن الثاني : عايد الشاب المهاجر المثقف ابن السائح بو المحاين جاء ليسد الطريق على ابن الشامبيط ، لقيه الشامبيط ، و الراعي ، و سكان القرية و حكوا له بعض أخبار الجازية ، أما صديق أبيه الأخضر بن الجبالي أيام الكفاح فأخذه إلى بيته ، و لقي حجيبة التي رآها في العين ظانا أنها الجازية و قد أعجبتته جرأتها .

الزمن الأول : تطوع الطلبة يراه كل جانب رؤية محددة ، صافية البنت المتطوعة ، لم يقبل إيواها إلا الطيب لأنه مثقف ، و كان معها الأحمر الذي تعلقت به حجيبة ،

¹ - عبد الحميد بن هدوقة : الجازية و الدراويش

الأخضر اختلف مع الأحمر حول انفراد صافية بالعمل النسوي ، أما هي فقد قبلت و كذا باقي الطلبة ، الطيب يقدره والده لأنه يطيعه لا أكثر ، الطيب قابل الجازية مع أخته ليمهد للخطبة و لكن كلامها أخافه فأجل الموضوع ، إلا انه لم يحدث صافية ، القرية أقامت زردة ، الأحمر يلحق المناجل المحماة كالدراويش ، تأتي الجازية ، يطلبها للرقص فلا تمنع ، الأخضر أراد قتله ، هدأه الآخرون ، الطبيعة تغضب فترمي بكارثة يتفرق الناس .

الزمن الثاني : عايد في البستان محتارا ، لأن من الأحاديث ما يجعل الطيب بريئا من قتل الأحمر ، يأتيه الراعي بخبر مجيء ابن الشامبيط من أمريكا كما جاء للقرية سينمائيون لتصويرها قبل الرحيل ، يلقي حجيلة وحدها في البيت فيعبران لبعضهما عن مشاعر المحبة .

الزمن الأول : في الزنزانة مع الطيب رجل ، الطيب مسترسل في ذكرياته لم يدافع عن نفسه في المحكمة ، في نقاشه مع الأحمر كان ضد الرحيل كان يغار من الأحمر . الرجل يخبر الطيب أنه من عناصر التقرير الأدبي الذي تعده النقابة ، و جده الطيب ثرثارا و فيه شبه بالأحمر ، بدت له صافية صبيحة الزردة في انكماشها على نفسها كالشاعر ، و وجدوا الأحمر على الدكة الحجرية أمام الباب ملطخا ، لقضائه الليل في إسعاف الآخرين ، الطيب فاتح الوالد أن رقص الأحمر مع الجازية عادي ، فأجاب أن الدشرة لا تسمح ، حجيلة حرضته و قلبه ممتلئ بحب الجازية و صافية معا .

الزمن الثاني : عايد تكشف له حجيلة انه لم يقابل الجازية و أن الرعاة سخروا منه ، و يتعاتبان ، و في البساتين ، لقيه درويش ، حذره من الطمع في الزواج بالجازية ، و حكى له عن الأحمر و لأنه درويش ممتاز لو لم يستعجل و ينفرد بالأمر ، و اخبره أن الشامبيط يقيم الخميس القادم زردة لخطبة الجازية ، و نصحه بالعودة إلى المهجر حتى تمر الأزمات و تتزوج الجازية حلالا .

الزمن الأول : الطيب يحاول كتابة رقم واحد بأظافره على الجدران ، فيخسر خمسة أظافر ، تزوره صافية ، فينتعش ، تحدثه عن التقرير الذي تركه الأحمر حول فساد مشروع الشامبيط القرية الجديدة و السد ، و تأكيد لجنة التحقيق على ذلك ، و اكتشاف علاقة هذا الأخير بالوكالة التي رشت مكتب الدراسات و أن الطلبة قد شكلوا لجنة لمتابعة القضية .

الطيب يتساءل عن التناقض داخل السلطة ، و صافية تحثه على المقاومة تترك له عنوانها وتذهب ، الطيب كالحاكم يقطع عليه السجين آخر نشوته موضحا أن سبب سجنه هو تصريح الصحافي ، رأوا فيه تحريضا . الطيب يحرض عنه ، متذكرا صافية و القرية .

الزمن الثاني : الزردة تقام في النهار بدل الليل ، الشامبيط أراد ذلك ليرى ابنة الجازية و تراه ، حضر الناس ، و تم إعداد الجو ، و تأخر الشامبيط ، الساعة الثانية عشرة ، وضع حجر بدل الشامبيط دار حوله الوكيل بالمهد سبع مرات رقصت النساء و الدراويش ... الخ ، الساعة الثانية لم يأت ، قرر الوكيل العام اعلم الناس ، عابد أكل من الجفنة بيديه ، مربية الجازية تأتي و معها فتاة ، الساعة الثالثة و النصف يشرع في الزردة رسميا ، ترتفع الألحان و الأغاني ، و الدراويش يرقصون ، عابد يرقص برقص أجنبي ثم يتابع الدراويش ، تدخل حجيبة الحلبة تبلغ الحضرة الأوج ، يأتي راعي السبعة ، يخبرهم بموت الشامبيط تذهب جماعة معه ، الشامبيط الذي نجا بأحلامه و أمواله و نفسه من حرب التحرير لعب مع الثورة و الاستعمار ، و بعد الاستقلال لعب مع الاشتراكيين و الرأسماليين ، و يريد تزويج ابنه من الجازية ، لأن أمريكا تحب السلاطين لا الخدم كما قال لابنه ، الأخضر أخذ الجازية إلى بيته ، سمح لحجيبة و العجوز عائشة بحضور الزردة ، أخذ البندقية و راح يترصد الحمام ، جاءه الراعي ، تبادلا كلاما ، مضى بأغنامه ، رأى الأخضر الشامبيط و ابنه في حافة المخاطر ، أطلق النار لإفزاع حمامتين ، رأى بغلة الشامبيط ترميه في الهاوية و سمع صوت انحدار القطيع ، الشامبيط أعطى بغلته المدربة لابنه و ركب أخرى غير مدربة ، ابنه وقف مذهولا ، جرى إليه الرجلان حاول الأخضر النزول إلى الشامبيط لم

يقدر ، نزل إلى ما تحت الهاوية ليصعد إليه ، و لكن حمله تعذر عليه ، فطلب من الراعي ، أن يذهب ليطلب المساعدة و الحبل.

جاء الناس ، رموا بالحبل ، صعد الأخضر بالحثّة ، لم يقبل ابن الشامبيط الصعود إلى الدشرة للصلاة على روح أبيه في جامع السبعة هبطت معه جماعة لتشيع الجنازة ، اعتذر الأخضر بأنه مرهق ، وعلق الناس.

الأخضر عاد بعائده إلى البيت حيث الجازية و مربيتها و أخبرها أن عايد أتى للزواج منها فضلت انتظار الطيب ، طلب عايد حجيّة و علت الزغاريد و طلقات البارود .

الخطامة

الخاتمة

لكل بداية نهاية وها نحن نصل الى اللمسات الأخيرة للعمل الذي قمنا بإنجازه ،
حيث نقف عند اخر محطة منه الا وهي الخاتمة .

- إن رواية الجازية و الدراويش تعتبر نصا حديثا من ناحية الشكل ، نزع فيه بن
هدوقة إلى التجريب الروائي من خلال العودة إلى التراث الشعبي و التعامل مع السيرة
الهلالية من خلال توظيف شخصية الجازية التاريخية ، و اتخاذها رمزا لتصوير اشكاليات
الجزائر الحديثة العهد بالاستقلال ، و التعبير عن آرائه و مواقفه منها و قد لونها بالنقد
و الإدانة للسلطات الحاكمة آنذاك لأن ممارستها مثلت - حسبه - انحرافات خطيرة عن
المبادئ الأصلية التي آمنت بها ثورة أول نوفمبر و قامت من اجلها ، كل هذا كرس
مظاهر التخلف الاجتماعي و الثقافي ، و ابقى المجتمع الجزائري منغلقا على الماضي
و رافضا الانفتاح على العالم الخارجي و هو يحاول دون تحديثه (المجتمع) و بناء
الجزائر العصرية التي يمكنها - و في كنف محافظتها على مقومات أصالتها - أن تحقق
تمدنها و رقيها بالانفتاح على الحضارة الغربية و الاستفادة من منجزاتها و بالتالي مواكبة
هذه الدول من حيث الرقي و النمو و الازدهار .

وعن النتائج المتوصل إليها من خلال عملنا هذا نستطيع أن نخلصها كما يأتي:

- وضع ابن هذوقة صورة متناهية في الدقة لمرحلة معينة من تاريخ الجزائر الحديث وما تم فيها من تجاوزات بين السلطة- ممثلة في الطلبة المتطوعين التي كانت لهم مهام أخرى على غرار الطالب الأحمر وكذا الشامبيط الذي له اليد الطولى في تسيير الاحداث - والشعب ممثلا في سكان القرية (الذشرة).

- رواية الجازية وال دراويش ماهي إلا تعبير عن جزائر ما بعد الاستقلال التي حسبه حادت عن الطريق الموصل الى النمو والتطور والازدهار

- بن هذوقة أراد بروايته أن يفهم السلطات بأنهم يجرون البلاد إلى الهاوية بتسييرهم العشوائي لها غير المبني على خطط واستراتيجيات علمية واضحة المعالم .

- أراد تصوير الصراع بين الاصاله والحضارة من خلال صورة الصراع بين الذشرة والمدينة فالذشرة تجسد القيم الإنسانية والأخلاقية بكل أبعادها، في المقابل تبدو ملامح المدينة -وقد انسلخت عن تلك القيم- مثقلة بأوهام الحضارة الوافدة، والتي كرست شهوة التملك والسيطرة، فأحدثت خراب الروح والإنسان .

- بن هذوقة أراد بروايته أن يقول أن الجزائر دولة لها مقومات عربية وإسلامية لن تحيد عنها مهما كانت التجاذبات السياسية في العالم .

فائفة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

1-المصادر والمراجع:

1. الأعرج واسيني : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د ، ط) ، الجزائر 1986م.
2. آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، تيزي وزو-الجزائر، 2006م.
3. بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحدثاثة السردية في الرواية العربية الجزائرية،المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، (ط 1)، 2005م.
4. بن هدوقة عبد الحميد : الجازية والدرويش، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د ، ط)، الجزائر ، 1983م.
- : بان الصبح ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (د ، ط)، الجزائر ، 1980م.
- : ربح الجنوب ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (ط 4)، الجزائر ، 1980
- :نهاية الأمس ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، 1985م.
5. بورايو عبد الحميد : منطق السرد ، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، 1994م.
6. التواتي مصطفى : دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية (اللص و الكلاب ، الطريق ، الشحاذ) إنتاج مشترك بين الدار التونسية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د ، ط) ، 1986م.
7. خضر محمد سعاد : الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية ، (د ، ط) ، صيدا ، لبنان ، 1967م.

8. دوغان احمد : شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د ، ط) ، الجزائر ، 1986م.
9. الركيبي عبد الله : تطور النشر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الطبعة الثانية ، الجزائر ، 1983م. الطبعة الرابعة ، الجزائر ، 1983م.
- : القصة الجزائرية القصيرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د ، ط) ، الجزائر ، 1983م.
10. طه وادي : الرواية السياسية ، دار النشر للجامعات المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مصر ، 1986م.
11. عامر مخلوف، الرواية و التحولات في الجزائر (أثر الإرهاب في الكتابة الروائية دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة باللغة العربية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط، 2000 م.
12. عايد أديب بامية : تطور الأدب القصصي الجزائري ، 1925م- 1967م ، ترجمت الدكتور محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982 م.
13. عبد العزيز بوباكير: ابن هذوقة - معالم على درب الإبداع - دراسات حول عبد الحميد بن هذوقة ، من جمع و تقديم الجيلالي خلاص (الملتقى الوطني الاول حول أدب عبد الحميد بن هذوقة) ، إنتاج مشترك بين وزارة الثقافة و الاتصال و مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج ، مطبعة دحلب ، الجزائر 1997م.
14. علال سنقوفة: المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2000م.
15. قاسم سيزا : بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، دار التنوير للطباعة و النشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، 1985م.
16. مصايف محمد : النشر الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د ، ط) ، الجزائر 1983 م.
17. نبيل سليمان:التجريب في الرواية الجزائرية ، الملتقى الرابع لابن هذوقة ، وزارة الثقافة والاتصال ،مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج ، ط 1، 2001م.

- 2- المجلات والدوريات

- 1- بن جمعة بوشوشة : الجازية و الدراويش ، جزائر الاستقلال و أسئلة المصير ،مجلة التبيين، العددان 12-13 (نسخة واحدة) 1998 م، تصدر عن جمعية الجاحظية ، الجزائر العاصمة ، الجزائر .
- 2- عبد الحميد بن هدوقة و أبو المعاطي النجا : مجلة العربي / العدد 339 ، فيفري : 1987 م وزارة الإعلام و الثقافة ، الكويت .
- 3- ل ، ستينانوف : عبد الحميد بن هدوقة - الكاتب الكلاسيكي الحي - ترجمة عبد العزيز بوباكير ، مجلة التبيين ، العدد 08 ، 1994م تصدر عن جمعية الجاحظية ، الجزائر العاصمة ، الجزائر
- 4- إبراهيم سعدي : الجزائر كنص سردي : كتاب الملتقى الوطني الرابع عبد الحميد بن هدوقة ، بحوث و أعمال ، وزارة الاتصال و الثقافة و مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج ، دار هومه ، الطبعة الاولى ، الجزائر ، 2001م.
- 5- مباركية عبد الناصر : الجازية و الدراويش بين التراث السردي ، الرؤية و جمالية المكان، قراءات و دراسات نقدية في أدب عبد الحميد بن هدوقة (كتاب الملتقى الوطني الأول حول أدب عبد الحميد بن هدوقة) ، وزارة الثقافة و الاتصال و مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج، دار تالة للنشر ، الجزائر : 1986م.
- 6- إبراهيم سعدي: الرواية الجزائرية و الراهن الوطني، جريدة الخبر الأسبوعي العدد 4، ديسمبر 1999م.
- 7- بن صبيات: الرواية الجزائرية تفتد إلى البعد الذاتي حوار مع الروائي إبراهيم السعدي، جريدة الخبر، الثلاثاء 11 جوان 2001 م.

- 3- الرسائل الجامعية :

- 1- الطويل فهيمة : صورة المرأة في روايات عبد الحميد بن هدوقة ، رسالة لنيل
الماجستير إشراف الدكتور : محمد ناصر ، معهد اللغة و الأدب العربي ، جامعة
الجزائر ، الجزائر ،السنة الجامعية (1985م- 1986 م)

- 4- المواقع الإلكترونية

- 1- جميل حمداوي ، الرواية السياسية والتخييل السياسي، موقع ديوان العرب ،
<https://www.diwanalarab.com/spip.php?article8092>

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
09	الفصل الأول : الرواية الجزائرية قبل الاستقلال وبعده
10	أ : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
10	1- واقع الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
13	2- المؤثرات الاجتماعية و السياسية على الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
15	ب : الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر
15	1- واقع الرواية المكتوبة بالعربية في الجزائر
17	2- السبعينيات عقد الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية
22	3- الرواية الجزائرية في الثمانينيات
25	4- الرواية الجزائرية في التسعينيات
29	ج :الرواية السياسية
29	1- مفهوم الرواية السياسية
31	2- الرواية السياسية في الغرب
32	3- الرواية السياسية عند العرب

34	4- الرواية السياسية عند الباحثين في الغرب والشرق
35	5- الرواية السياسية في الجزائر
37	الفصل الثاني : الدلالات السياسية في رواية الجازية والدرأويش
38	أ- الدلالات السياسية لشخصيات الرواية
38	1-حادثة الشكل الروائي
40	2- شخصية الجازية
47	3- شخصية الطيب بن الأخضر بن الجبالي
52	4-شخصية الطالب الأحمر
59	ب - الدلالة السياسية للزمان والمكان الفنيين في الرواية
60	1- الإطار المكاني
69	2- الإطار الزمني
72	3-الأبعاد الاجتماعية و الثقافية في رواية الجازية والدرأويش
76	ملحق :عبد الحميد بن هدوقة
77	1- حياته و مؤلفاته
84	2- مكانته روائيا
85	3-ملخص الرواية
88	الخاتمة

91	قائمة المصادر و المراجع
96	فهرس الموضوعات

ملخص

تندرج هذه الدراسة في سياق محاولة البحث عن الأبعاد السياسية من خلال رواية " الجازية والدراويش" للروائي والأديب "عبد الحميد بن هدوقة" وذلك من خلال دراسة الأبعاد والدلالات السياسية لأهم شخصيات هذه الرواية.

و حاولنا الكشف عن الدلالات السياسية للزمان والمكان الفنيين لهذه الرواية ، كما تطرقنا للجوانب الاجتماعية والثقافية لها .

الكلمات المفتاحية : الجازية والدراويش ، عبد الحميد بن هدوقة . الدلالات السياسية.

Résumé

Cette étude est présentée dans un cadre politique à partir le roman de "**Al-Djazia Et Darwiche**" produit par l'auteur "**Abd ELHamid Ben Haddouga**" a grace a l'étude de ces personnages et leur **dimension politique** .

On a essayé de découvrir le cadre spacio – temporel de ce roman étant donné que les valeurs sociales et culturelles de ces personnages .

Mots-clés: Al-Djazia Et Darawiche, Abdel Hamid Ben Haddouga.
dimensions politiques.